مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة *القصيم*، المجلد (١٥)، العدد (١)، ص ص ٢٢٧-٣٠٨، (محرم ١٤٤٣ هـ/ أغسطس ٢٠٢١)

أثر الحروب الصليبية في ظهور التصورات الغربية للمرأة المسلمة خلال العصور الوسطى من خلال المصادر التاريخية " دراسة تحليلية"

د/ هيلة بنت عبد الرحمن بن فراج الفراج السهلي

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن/الرياض / المملكة العربية السعودية

ملخّص البحث:

يعد عصر الحروب الصليبية مرحلة مهمة في التاريخ الإسلامي؛ لأنها تشكل تجربة في تاريخ المسلمين جميعاً سواء في المشرق أو المغرب. وهذه التجربة ليست من التجارب العابرة المحدودة الأثر والنتائج وإنما هي تجربة كبرى مليئة بالدروس وذات آثار بعيدة المدى على مختلف جوانب الحياة في العالمين الإسلامي والغربي، وهذا يتطلب من الباحثين تأملها وسبر غورها في كل وقت. خاصة وأن هذه التجربة قد كشفت للجانبين جوانب غامضة عن كل منهما. ومن هذه من الجوانب التي ينبغي تسليط الضوء عليها جانب المرأة المسلمة خلال الحروب الصليبية، وكيف صورها المؤرخون الصليبيون في مؤلفاتهم، وكيف نظروا إليها.

وهذا البحث محاولة لمعرفة أثر الحروب الصليبية في تشكيل التصور الغربي عن المرأة المسلمة خلال القرون الوسطى كما وردت في الحوليات والمصادر التاريخية الأوربية للحروب للصليبية، والكشف عن العوامل التي أدت إلى دخول المرأة المسلمة في دائرة الاهتمام الغربي، وذلك من خلال ثلاثة مباحث رئيسة: المبحث الأول هو: صورة المرأة المسلمة في الغرب قبل الحروب الصليبية ويهدف هذا المبحث إلى معرفة إلى

أي مدى كانت المرأة المسلمة حاضرة في الذهن الغربي الأوربي، ومقدار ما كان يعرفه الغرب عن النساء المسلمات. أما المبحث الثاني، فيناقش عوامل وأسباب نمو فضول الغرب واهتمامه بالنساء المسلمات ويركز على موضوعين رئيسين هما: الأسر والحجاب ودورهما في لفت الانتباه إلى النساء المسلمات. وأخيرًا يحاول أن يتتبع الأدوار والصور المتعددة التي رسمها المؤرخون الصليبيون للنساء المسلمات من خلال مبحث: صورة النساء المسلمات في المصادر التاريخية اللاتينية. ويختتم البحث هذه المباحث الثلاث بخاتمة تلخص أهم النتائج التي توصل إليها من خلال المنهج الوصفي التحليلي الذي يهتم بجمع الحقائق و تحليل بعض جوانبها. ويقوم هذا المنهج على عمليّاتٍ ثلاث: التّفسير، والنّقد، والاستنباط.

الكلمات المفتاحية : الشرق الإسلامي، العصور الوسطى، المرأة المسلمة، المصادر التاريخية، تمثيل الإسلام، الحروب الصليبية.

مقدمة :

تعد الحروب الصليبية إحدى حلقات التواصل بين الشرق الإسلامي والغرب الأوربي، كشفت للأوربيين الكثير من جوانب الشرق الإسلامي الذي ظل غامضًا بالنسبة لهم قرون عديدة. وتعد المرأة المسلمة إحدى هذه الجوانب الأكثر غموضا وابهامًا في التصور الغربي.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات الحديثة التي تناولت جوانب شتى في عصر الحروب الصليبية إلا أن هذا الجانب لم يحظ باهتمام الدارسين في العصر الحديث. والملاحظ أن معظم الدراسات الحديثة في حقل الصليبيات ركزت على المرأة الصليبية وصورتها في أذهان العرب والمسلمين أكثر من تركيزها على صورة المرأة المسلمة في أذهان الأوربيين والصليبيين في تلك الفترة.

وربما يكون سبب تركيز الدراسات الحديثة على المرأة الإفرنجية أو الصليبية ؛ أنها كانت من أولى الجموع التي حرصت على القدوم إلى الشرق، فقد كان لها دوراً بارزًا أثر على الحملات الصليبية تأثيراً واضحًا. ويبدو أن طبيعة الأوروبيات وما تميزن به من طبيعة متحررة لفت اهتمام المؤرخين المسمين، فكرسوا حيزًا من مؤلفاتهم للحديث عنها مثل كتاب "الاعتبار" لأسامة بن منقذ وكتاب "الفتح القسي في الفتح القدسي" لعماد الدين الاصفهاني[1]، مما شكل مادة خصبة للباحثين المعاصرين لخوض غمار هذا الموضوع.

---

(١) العماد الأصفهاني، القاضي عماد الدين الكاتب.(ت٥٩٧ هـ). الفتح القسي في الفتح القدسي، بيروت، ط١ ، دار الكتب العلمية، (١٤٢٤م/٢٠٠٢م)، ص٢١٢-٢١٣.

ولعل الدراسة الجديرة بالإشارة في هذا الصدد هي دراسة لورا برادي Laura Brady وكانت عن النساء الأسيرات في أطروحتها غير المنشورة لدرجة الماجستير، وعنوانها : "ضروريات ومحتقرات : صور النساء إبان الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية ١٠٩٥ - ١١٤٨م" ، وقد كتبتها بالاستعانة بالمصادر الأولية الإفرنجية. وعلى الرغم من أن تركيزها الرئيس كان على المرأة الإفرنجية بالدرجة الأولى إلا أنها اشارت ضمن السياق إلى بعض أدوار النساء المسلمات خلال تلك الفترة. ولكنها طرقت الموضوع من زاوية مختلفة عن الطريقة يتناولها هذا البحث.

ويحاول البحث أن يكتشف أثر الحروب الصليبية في تشكيل صورة المرأة المسلمة في أذهان الغربيين خلال العصور الوسطى متتبعًا الصور المتعددة التي رسمها مؤرخو الحروب الصليبية للمسلمات من خلال حولياتهم ورواياتهم التاريخية.

ويركز بشكل رئيس على العوامل التي أدت إلى ظهور التصور الغربي للمرأة المسلمة كالأسر والحجاب. كما يركز على التلميحات الأيدولوجية التي استخدمت لنقل صورة نمطية وأسطورية في الوقت ذاته عن النساء المسلمات، فقد كانت صورة المرأة المسلمة في ثقافة الصليبيين صورة تخيلية بعيدة عن الواقع تمامًا مما يجعلنا نعدها جانب من الجوانب المستترة أو الكامنة لبدايات ظهور الاستشراق. وتحقيقًا لهذا الهدف، فقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسة، هي :

المبحث الأول : صورة المرأة المسلمة في الغرب قبل الحروب الصليبية.

المبحث الثاني : عوامل وأسباب نمو فضول الغرب واهتمامه بالنساء المسلمات : ويشمل جانبين هما : - الأسر ودوره في لفت الانتباه إلى النساء المسلمات.

- الحجاب ودوره في لفت الانتباه إلى النساء المسلمات.

المبحث الثالث : صورة النساء المسلمات في المصادر التاريخية اللاتينية.

ثم الخاتمة التي تتضمن أهم نتائج البحث. وقد استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي وهو الذي يهتم بجمع الحقائق وتحليل بعض جوانبها للوصول إلى النتائج. ويقوم هذا المنهج على عمليّاتٍ ثلاث: التّفسير، والنّقد، والاستنباط.

صورة المرأة المسلمة في الغرب قبل الحروب الصليبية:

قبل أن نتحدث عن تصورات الصليبين عن المرأة المسلمة خلال الحروب الصليبية، من المهم أن نتحقق عن مقدار ما كان يعرفه الغرب عنها قبل تلك الفترة، خاصة وأن هذا في حد ذاته يعد مؤشرًا أساسيًا؛ لأنه يعكس مدى فضول الغرب في التعرف على المرأة المسلمة. والأهم من ذلك أنه يوضح مدى معرفته واطلاعه على كل ما يتعلق بالنساء المسلمات.

ومما تجدر الاشارة إليه أن مصطلح " ساراسين " أو "ساراسينوس" (Sarakenoi) رافق ذكر النساء الشرقيات والمسلمات بصفة خاصة في المصادر اليونانية واللاتينية، وذلك بصيغة "نساء السراسين أو السراسنة "؛ لذلك من المهم أن نتبع مراحل ظهور هذا اللفظ ودلالته، خاصة وأن المؤرخين والرحالة الغربيين في عصر الحروب الصليبية اعتادوا على الاشارة إلى النساء المسلمات بهذا المسمى[1].

---

(١) وليم الصوي. الحروب الصليبية، ترجمة، حسن حبشي، د. ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(١٩٩١م)؛ فليكس، فابري. جولات الراهب الدومنيكاني فابري فيلكس ورحلاته ١٤٨٠- ١٤٨٣م، ترجمة وتحقيق، سهيل زكار، في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٤٢ ، د. ط، دمشق، دار الفكر،(١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ١/ ٣٧٥-٣٧٦؛ Guibert of Nogent. The Deeds of God through the Franks . ؛ ٧١٧ /٢
=

وكانت بداية ظهور هذا المصطلح في الكتابات اليونانية والرومانية (اللاتينية) والبيزنطية والسريانية[١]، فقد أُشير إلى العرب في تلك المصادر بتعابير عديدة، منها: العرب، السراقينوا، السراقينيون[٢]،

=

Translated and edited by Robert Levine. (Rochester Boydell,١٩٩٧), p.٢٩,٤٨. ٦٦, ١٠٣.

(١) Ptolemy, Geography, C,H .F Nobbe (Ed), Leipzig,١٩٣٢,VI.٧,٢١ Ammianus Marcellinus, Res Gestae, ٣rd, ٣ Vols, J.C. Rolfe, (Ed), ١٩٣٥, ١٩٣٩), Cambridge, Harvard University Press, ١٩٥٦,p. ١٤,٨,٥, ٢٢,١٥,٢. Eusebius, The History of the Church, Penguin Classics, translated by G.A Williamson, England, ١٩٨٩, p.١٢٥ ;Sozomen, The History of the Church, trans. By, C.D. Hartranft , In A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church, Second Series, P. Schaff and H. Wace, (Eds), Vol. II(١٨٩٠), Reprinted in Grand Rapids, ML, W.M. Eerdmans, ١٩٧٩, ٦,٣٨; Socrates, The History of the Church, trans. By, A. C. Zenos, London, Samuel Bagster and Sons, ١٩٨٠, ٤. ٣٦. P.٣٦٠; Theophanes, Chronographia, trans. By, Cyril Mango and Roger Scott, Clarendon Press, Oxford, (١٩٩٧), ١. ١٤١; Bar-Daisan, The Book of the Laws of Countries, dialogue on fate, Drijvers Editor, Van Corcum, Assen, ١٩٦٥, p. ٥٠.

(٢) Ptolemy, Geography, ,VI.٧,٢١ Ammianus, Res Gestae, p. ١٤,٨,٥, ٢٢,١٥,٢. Eusebius, The History of the Church, p. ١٢٥ ;Sozomen, The History of the Church, p. ٦,٣٨ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م). التنبيه والإشراف، بيروت، مكتبة خياط ،(١٩٦٥م)، ص ١٦٨.

الاسماعيلون[١]، الهاجرينوا، الهجريون[٢]، وحظي المصطلح الثاني "السراقينون" برواج واسع في تلك المصادر في عصور ما قبل الإسلام، وفي العصور الإسلامية في كل من الشرق اليوناني والغرب اللاتيني خلال معظم فترات العصور الوسطى[٣].

ومنذ القرن الثاني الميلادي أخذت لفظة السراسنة (Sarakênê) تشيع في الاستعمال، فكان الجغرافي بطليموس يطلق كلمة سكينتاي(Skenitae) على البدو، وليست علمًا لقبيلة معينة[٤] أما المؤرخ البيزنطي ثيوفانس البيزنطي Theophanes ، فيشير إلى هؤلاء السراسنة بلفظة سركا(Saraka)[٥].

---

(١) Eusebius, The History of the Church, p. ١٢٥.

(٢) شهيد، عرفان. روما والعرب، ترجمة، قاسم محمد سويدان ، دمشق ، دار كيوان، ط١،(٢٠٠٨م)، ص ٢٠٥.

(٣) شهيد، المرجع السابق، ص ٢٠٥. انظر على سبيل المثال: الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص ٣٩٦؛ الرهاوي، متى (ت ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤ م). تاريخ متى الرهاوي،(الإفرنج (الصليبيون) –المسلمون– الأرمن) ، ترجمة وتعليق محمود الرويضي وعبدالرحيم مصطفى، ، أربد، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، (٢٠٠٩ م)، ص ١٥٢ ،٤٣ . والأنطاكي، يحيى بن سعيد (٤٥٨ هـ/ ١٠٦٧ م). تاريخ الأنطاكي "المعروف بصلة تاريخ أوتيخا"، تحقيق، عمر عبدالسلام التدمري، جروس برس، طرابلس،(١٩٩٠م)، ص ٢٧٥.

(٤) Ptolemy, Geography, VI. ٧. ٢١

(٥) Theophanes, Chronographia, ١. ١٤١

ويبدو أن لقب سراسنة لم يكن معروفًا خلال الفترة الهلنستية[١]، وأنه ظهر خلال الفترة الرومانية لتمييز العرب[٢]، حيث أصبحت لفظة السراسنة تطلق على العرب بشكل عام منذ النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي[٣] فقد كان الكتاب المتأخرين في الإمبراطورية الرومانية خلال القرون الميلادية الثلاثة الأولى يطلقون مسمى "الساراسيين" على القبائل العربية التي تستوطن شبه جزيرة سيناء[٤]، ثم استخدم

---

(١) الفترة الهلنستية، تعني تداخل العناصر الحضارية الغربية (الإغريقية) بالحضارة الشرقية، وهي تسمية أطلقها عام ١٨٣٦ م المؤرخ الألماني يوهان درويسن (Johann Droysen)؛ ليميز بها الحضارة الجديدة عن الحضارة اليونانية أو الإغريقية الكلاسيكية. انظر: يحيى، لطفي عبد الوهاب. دراسات في العصر الهلنستي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،(١٩٨٨م) ، ص ١٦.

(٢) شهيد، روما والعرب، ص ٢٠٥؛ النصرات، محمد، السراسنة (Saracens) وعلاقتهم بالامبراطوريتين الرومانية والبيزنطية (القرنين الثالث والرابع الميلاديين)، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجّلد ٣٨ ، العدد٢، ٢٠١١ م، ص ٦٣٠.

(٣) Bar-Daisan, The Book of the Laws, p.٥٠.

(٤) شبه جزيرة سيناء: هي شبه جزيرة صحراوية مثلثة الشكل تقع غرب آسيا، ما بين البحر المتوسط شمالاً والبحر الأحمر جنوباً. حيث يمثل رأس محمد أقصى جنوبها. كما يشكل خليج العقبة حدّاً لها في جنوبها الشرقي وخليج السويس حدّا لها في جنوبها الغربي. وفي جزيرة سيناء يقع جبل طور الذي كلم الله موسى عليه السلام عنده، وهو جبل قرب أيلة (العقبة)، التي تقع على ساحل البحر الأحمر. انظر: ياقوت الحموي، أبو عبدالله شهاب الدين ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ). معجم البلدان، تحقيق، فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية (د.ت) ، ٢٩٢/١؛ شقير، نعوم. تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، بيروت، دار الجميل،(١٩١٦م).

النصارى هذا المصطلح بعد عدة سنوات ليصفوا القبائل العربية بصفة عامة[١]. ويذكر المؤرخ الروماني أميانوسAmmianus ، الذي عاش في القرن الرابع الميلادي إنه إلى الشرق من مصر كان يوجد الاسكينيون الذين نسميهم الآن السراقنيين[٢] .

ويمكن تقسيم أصول هذا المصطلح إلى لغوية وعرقية وجغرافية.

الأصل الأول للكلمة هو شرق أو شرقيون، ويرى شهيد أنه أصل غير مقنع ؛ لأن لفظ الشرق مرتبط مباشرة بالشرق وبالتالي بالأنباط[٣]وليس فلسطين. كما تظهر الخرائط العرقية التي وضعها بطليموس أن السراقنة استقروا في جنوب دولة الأنباط أكثر من الشرق[٤]لكن هذا الأصل محتمل ؛ لأن هؤلاء البدو كانوا يعيشون في شرق الإمبراطورية الرومانية، وخصوصا بعد أن ضُمت دولة الأنباط إلى الامبراطورية الرومانية، فالشراقنة هم الذين يقطنون إلى الشرق من كورة العربية، وهو الاسم

---

(١) Bar-Daisan, The Book of the Laws, p.٥٠. ؛ النصرات، السراسنة، ص ٣٦١.

(٢) Ammianus, Res Gestae, , p. ٢٢, ١٥,٢; ٢٣,٦,١٣.

(٣) الأنباط: أنباط أو النبطيون قبائل بدوية كونت مملكة امتدت من غزة شمالاً إلى مدائن صالح جنوباً، واتخذت البتراء عاصمة لها. وقد بدأت مملكة الأنباط في القرن الرابع قبل الميلاد، وبلغت أوج مجدها في القرن الأول الميلادي حيث امتد نفوذها إلى دمشق. واكتسبت هذه المملكة أهميتها من وقوعها في طريق التجارة من الشمال والجنوب. وضعفت البتراء عندما اتجه الرومان إلى السفر بحرًا إلى الهند. وعندما رأى الرومان توسع الأنباط هاجم الامبراطور تراجان البتراء ودمرها عام ١٠٥م، وضم مملكة الأنباط إلى مملكته. انظر عنها: Ammianus, Res Gestae,p. ١٤,٨,١٣ ؛ النصرات، محمد، مملكة الأنباط، التاريخ السياسي/ الأنباط، ط ١، البتراء، بيت الأنباط للنشر، (٢٠٠٧ م)، ص ٥٧،٢٧ .

(٤) Ptolemy, Geography, VI. ٧. ٢١.

الجديد لمملكة الأنباط بعد ضمها إلى روما. والأصل الثاني السارقين بمعنى اللصوص او النهابون، وهي تسمية طبيعية أطلقها المقيمون في مملكة الأنباط على البدو، وتعني هذه التسمية التي أطلقها الرومان نفس التوازي في التطبيق للتسمية النهابون على جميع الشعوب البربرية المقيمة خارج حدود الامبراطورية الرومانية. أما الأصل الثالث فهي سراق بكسر السين وتعني قاحلة أو جرداء بمعنى الناس الذين يسكنون في الأراضي القاحلة. والأصل الرابع أن السراقنة نسبة إلى قبيلة عربية كانت مرموقة الحضور خلال القرن الثالث الميلادي[١] أما الأصل الخامس، فهو النسبة إلى مكان يسمى سراكين ذكره الجغرافي بطليموس[٢] .

ويرى باتريك ديميرس Demers Patricia أن هذا المصطلح مشتق من اسم "سارة" زوجة النبي إبراهيم عليه السلام[٣]، وكان القديس جيروم أول من ربط لفظ السراسنة بأبناء سارة زوجة النبي إبراهيم عليه السلام[٤] .

ولاشك أن ربط مسمى السراسنة ببني هاجر أو سارة لا يخلو من التحقير للعرب ؛ لأنها تتضمن لمز العرب بأنهم "عبيد سارة" في إشارة إلى أن المسلمين من نسل "هاجر" المصرية زوجة النبي إبراهيم عليه السلام، التي كانت أمة لدى السيدة "سارة" زوجة الخليل إبراهيم عليه السلام. وقد انكر المؤرخ المسعودي (ت ٣٤٦ ه/ ٩٥٧ م) على

---

(١) Ptolemy, OP. Cit , VI. ٧. ٢١.

(٢) Ibid, VI. ٧. ٢١

(٣) Patricia Demers, An Apology or Answer in Defence of The Church Of England: England: Lady Anne Bacon's Translation of Bishop John Jewel's 'Apologia Ecclesiae Anglicanae (MHRA, ٢٠١٦), p. ١١٢

(٤) Sozomen, The History of the Church, ٦,٣٨, p.٢٩٩.

الروم نعتهم العرب بالسراسنة أو السراقينوس أثناء حديثه عن نقفور[١]، حيث قال: "وأنكر على الروم تسميتهم العرب ساراقينوس تفسير ذلك عبيد سارة طعنًا منهم على هاجر وابنها إسماعيل، وإنها كانت أمة لسارة وقال: تسميتهم عبيد سارة كذب، والروم إلى هذا الوقت تسمي العرب ساراقينوس"[٢] وهو ما يكشف عن التعصب الدفين للمسلمين.

والحقيقة أنها النسبة لا تصح؛ لأن العرب أبناء إسماعيل من زوجته هاجر، وليست سارة؛ ولعل التعريف الأقرب للصحة، أو الصفة المشتركة بين كل ما سبق عرضه من التعريفات السابقة هو التفسير الذي يربط اللفظ بالمنطقة أو الإقليم؛ لأن لفظ "ēnos" الذي تنتهي به كلمة السراسنة (Sarakenoi) يُضاف إلى نهاية الكلمة ليشكّل الصفاتِ العرقيةَ من الأسماء الجغرافية.

ومهما يكن من أمر، فقد استخدم المؤرخون الأوربيون هذا المصلح في نصوصهم في بداية العصور الوسطى، ليصفوا الإسلام بأنه دين "الساراسيين" أي "العرب"، كما

---

(١) كان نقفور وزير مالية إيرين وقد نجح في الاستيلاء على العرش بعد مشاركته في ثورة نشبت في بيزنطة ضد الإمبراطورة إيرين، وقد استهل حكمه بأن كتب للخليفة هارون الرشيد عن امتناعه عن دفع الجزية، ويطلب رد ما دفعته إيرين للخلافة العباسية، وإلا "فالسيف بيننا وبينك". فرد عليه هارون الرشيد على نفس الخطاب: بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، أما بعد فقد قرأت كتابك يا أبن الكافرة والجواب ما تراه لا ما تسمعه" انظر: الطبري، محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، بيروت، ط١، دار الكتب العلمية ،(١٤٢٢هـ)،٣٠٧/٨.

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ١٦٨.

أطلقوه أيضًا على صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم، ولم يكونوا يستخدمون لفظة "إسلام" أو "مسلمين" إلا في حالات استثنائية نادرة[١]. فبعد تكوين الخلافة الإسلامية أصبح البيزنطيون يشيرون إلى المسلمين بهذا المسمى، لأن المصادر البيزنطية تستخدمه عندما تتحدث عن الأمويين في دمشق .ويتضح ذلك أيضًا من رواية المسعودي السابقة[٢]، ومن وصف نقفور لعمر بن عبدالعزيز بأنه "فيلارخ[٣] (السراسنة[٤]. كما كان المؤرخون في أوروبا العصور الوسطى يطلقون مسمى "السراسنة " على من جاؤوهم فاتحين في الأندلس[٥] وفي

---

(١) John Victor Tolan, Saracens: Islam in the Medieval European Imagination (New York: Columbia University Press, ٢٠٠٢), p. ٥.

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ١٦٨.

(٣) فيلارخ (Φύλαρχος)، لقب إداري رسمي، أصله يوناني، أما رديفه اللاتيني فهو(tribunus) أصبح هذا اللقب في نهاية القرن الرابع الميلادي اللقب المميز لشيخ القبيلة العربي الذي يتحالف مع البيزنطيين، وقد استمر استخدام هذا اللقب من القرن الرابع الميلادي حتى القرن السابع الميلادي . انظر عنه:

Shahîd, Byzantium and the Arabs, Vol ٢, Part ٢,p.٥١٥.

(٤) Philip Mayerson, The Use of the Term Phylarchus in the Roman -Byzantine East,(Zeitschrift fur Papyrologie und Epigraphik, ٨٨,١٩٩١), p.٢٩٤.

(٥) عن الفتح الإسلامي للأندلس انظر: ابن القوطية، محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ). تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق، عبدالله أنيس الطباع، عني بمراجعة التحقيق عمر فاروق الطباع، بيروت، ط١، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر،(١٩٩٤م)، ص ٢٩.؛ المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت٦٤٧هـ). المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، محمد سعيد العريان، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي ،(١٩٦٣م)، ص ١٦-٢٠؛ ابن عذاري =

جنوب فرنسا[١] وفي صقلية[٢] فكأنهم أرادوا أن يعطوا الاسم الذي يحمل معنى السلب والتدمير لهؤلاء المسلمين الذين نظروا إليهم كغزاة وليس كفاتحين، فعندما قام بيدا المبجل[٣] (Venerable Bede) بمراجعة التاريخ الكنسي للإنجليز قبيل وفاته

=

المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت في القرن الثامن). كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، محمد إبراهيم الكناني وآخرون، بيروت ، ط١، دار الغرب الإسلامي،(١٤٠٦هـ)، ٢ / ٧.

(١) هي ما يسمى في كتب المؤرخين المسلمين ببلاد الغال. عن وصول المسلمين إلى بلاد االغال انظر : ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٩.٢٦.

(٢) عن تفاصيل الفتح الإسلامي لصقلية انظر: ابن الأثير الجزري، علي بن محمد (ت٦٣٠هـ).الكامل في التاريخ، تحقيق،عمر عبد السلام تدمري، بيروت،ط١، دار الكتاب العربي، (١٤١٧هـ)، ٥/ ٤٣٦ وما بعدها، ١٥٢؛النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ). نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق، حسين نصار وعبد العزيز الأهواني، (١٤٠٣هـ)، ٣٥٦/٢٤. وصقلية تعد أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط، منذ القدم قوى خارجية لأهمية موقعها الاستراتيجي، وقد خضعت تاريخيًّا للفينيقيين ثم القرطاجيين فالإغريق ثم الرومان، وغزاها البرابرة، ثم انتقلت إلى البيزنطيين، ثم خضعت لحكم المسلمين حوالي ٢٦٤ سنة إلى أن سقطت في أيدي النورمان سنة ١٠٩٠م على يد روجر الأول. انظر عنها: عباس، إحسان. العرب في صقلية: دراسة في الأدب والتاريخ ، القاهرة دار المعارف المصرية، د.ت، ص ٢٨.

(٣) هو آدم بيدا معروف بالمبجل راهب ومؤرخ إنجليزي موسوعي ، (ولد سنة ٦٧٢ أو ٦٧٧ م، وتوفي سنة ٧٣٥ م، ويعتبر من القديسين، وله عيده يوم ٢٧ مايو من كل سنة. انظر عنه: شاخت، جوزيف، و بوزورث، كليفورد . تراث الإسلام، ترجمة، محمد رهير

=

عام١١٧هـ/٧٣٥م لخص الأحداث الأخيرة بهذه الكلمات: "في ذلك الوقت قام الوباء الموجع المتمثل بالسراسنة (المسلمين) بتخريب مملكة بلاد الغال بعد مجازر أليمة وبائسة لكنهم سرعان ما لقوا عقابهم الذي يستحقونه على غدرهم"[١].

يتضح مما سبق أن مسمى السراسنة انتشر بالتدريج من خلال الامبراطورية البيزنطية، ثم الحروب الصليبية إلى الغرب الأوربي منذ ذلك الحين حتى وقتنا الحاضر، فلم تعد لفظة السراسنة تعني سكينتاي (سكان الخيام).

ويبدو أن مسمى "الساراسيين" خلال العصور الوسطى كان يطلق على أي مسلم بغض النظر عن انتمائه العرقي. ووقفًا لما ذكره بعض الكتاب الأوربيين المحدثين فإن هذا المصطلح أطلق على العرب أو المسلمين أو كليهما. كما استخدم بالتبادل مع مصطلحات أخرى كالنيجريين والسود والمغاربة والاثيوبيين خلال العصر الوسيط[٢]. وفي أنشودة رولاند كانت البشرة السوداء هي أبرز سمة لافتة للنظر في هؤلاء السراسنة[٣].

=

السمهوري وآخرون، الكويت، عالم المعرفة، سلسة يصدرها المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب، (١٩٧٨ م)، ١/٨٠.

(١) شاخت، المرجع السابق، ١/٢٩.

(٢) Elliot Tokson, The Popular Image of the Black Man in English Drama, ١٥٥٠-١٦٨٨ (Boston, MA: G. K. Hall, ١٩٨٢), p. ٢.

(٣) رولاند. نشيد رولاند، ترجمة وتحقيق، سهيل زكار، في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٩ ، د. ط، دمشق، دار الفكر،(١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

المبحث الأول : صورة المرأة في الغرب قبل الحروب الصليبية :

وحتى نتتبع بداية العلاقة بين المرأة المسلمة والعالم الغربي علينا أن نحلل الأحداث السياسية والتاريخية التي سبقت تلك المرحلة.

وبصفة عامة فإن المصادر اليونانية والرومانية لم تشر سوى إلى امرأتين عربيتين هما الملكة الغسانية ماوية[١]، خلال القرن الرابع الميلادي، فقد أطلقت المصادر البيزنطية لقب السراسنة على الجنود الذين أرسلتهم الملكة العربية ماوية ؛ لمساعدة الرومان في الدفاع عن القسطنطينية ضد هجمات القوط[٢] عقب معركة أدرنة سنة ٣٧٨ م[٣]. كما تحدث سقراط عن الملكة العربية ماوية ووصفها بأنها ملكة السراسنة، واشار إلى تحالفها مع البيزنطيين[٤] أما الأخرى، فهي المرأة المجهولة الاسم، وهي الشاعرة ابنة ملك سليح (الضجاعمة) في القرن الخامس الميلادي[٥].

---

(١) هي ملكة عربية من بني تنوخ ، لما توفي زوجها في حدود عام (٣٧٥ م)، خلفته ، وكانت وصية على العرش، حكمت تحالفًا مكونًا من عرب شبه بدو في جنوب سوريا في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي. وقامت بثورة ضد الرومان عام ٣٧٦ م، وألغت المعاهدة التي كان زوجها، وتقدمت على رأس جيشها إلى فينيقيا ، ويذكر شهيد أن ماويه اسم عربي، وأن الاسم الذي ورد في المصادر البيزنطية هو (Măvia) اليوناني . انظر عنها: Shahîd, Byzantium and the Arabs, Vol ٢, Part ٢,p. ٨٢

(٢) قبائل جرمانية تنقسم إلى قسمين قوط غربيين وقوط شرقيين. انظر عنهم: القيصري، بركوبيوس. الحروب القوطية، ترجمة عفاف صبرة، القاهرة، ١٩٨٧م؛ منصور، طارق و البشير، هاني. مدخل إلى أوربا العصور الوسطى، بيروت، ط١، مكتبة الرشد، (١٤٢٨هـ)، ص ١٢٢-١٠٨.

(٣) Sozomen, The History of the Church, ٦,٣٨, p.٢٩٩.

(٤) Socrates, The History, ٤,٣٦.

(٥) Shahîd, Byzantium and the Arabs, Vol ٢, Part ٢, ٨٢.

وزاد ذكر نساء الغساسنة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين. وكان تركيز هذه المصادر على النساء من الطبقة الحاكمة والأرستقراطية، وقد جاء أول ذكر لامرأة من الغساسنة في عهد الإمبراطور جستنيان Justinian I (٥٢٧-٥٦٥م). وبلغ أوج تأثير الملكات العربيات في عهد أسرة الامبراطور، ومن أبرزهن الملكة زنوبيا ملكة تدمر، التي قادت مع زوجها أذينة عصيانًا على الإمبراطورية الرومانية "البيزنطية" تمكنا خلاله من السيطرة على معظم سوريا[١].

وقد بدأت المواجهات العسكرية بين المسلمين والروم في فترة مبكرة من تاريخ الإسلام، وكان هذا الصراع محصورًا على حدود الجزيرة العربية. وكانت أولى تلك المواجهات بين دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة وبين الإمبراطورية الرومانية "البيزنطية" في معركة مؤته (٨هـ /٦٣٠م)[٢]، حيث هزم المسلمون الرومان شر هزيمة[٣].

---

(١) Vopiscus, Historia Augusta, (Loeb Classical Library, ١٩٣٢) ,Vol. III. ٢٢٣- ٢٦٩; Shahîd, Byzantium and the Arabs, Vol ٢, Part ٢, ٨٢-٨٣.

(٢) مؤته :غزوة مؤتة حدثت في جمادي الأول سنة ٨هـ/٦٢٩ م، بسبب قتل الصحابي الحارث بن عمير الأزدي رسول النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى ملك بصرى على يد شرحبيل بن عمرو بن جبلة الغساني والي البلقاء الواقع تحت الحماية الرومانية؛ وقد أمَّر الرسول عليه السلام على الجيش الزاحف إلى مؤته زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقال: (إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة) رضي الله عنهم أجمعين، فلما قتلوا جميعًا تولى القيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه. انظر: ابن هشام، عبد الملك المعافري (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م). السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى السقا وآخرون، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، ٤٢٧/٣؛ ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ). عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق، محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مستو، بيروت ، ط١ ، دار ابن كثير، (١٤١٣هـ)، ١٩٩/٢.

(٣) ابن هشام، السيرة ، ٣/ ٣٣٨؛ الطبري، تاريخ ، ٢ /١٤٩.

أما في غزوة تبوك (٩هـ /٦٣٠م)[١]فلم تحصل مواجهة عسكرية بين الطرفين، فقد قذف الله الرعب في قلوب الروم، فنكصوا على أعقابهم خائبين[٢]. لذلك لم يكن هناك مجال للرومان لرؤية النساء المسلمات أو الاحتكاك بهن. كما فاتتهم هذه الفرصة أيضًا عندما بدأت معارك الفتح في بلاد الشام، على الرغم من مشاركة الصحابيات في هذه المعارك[٣]وإذا حدث والتقى الرومان بالنساء المسلمات، فالمرجح أنه على نطاق ضيق.

على كل حال، من الواضح أنه لم يكن هناك تعامل للأوربيين مع النساء المسلمات قبل الحروب الصليبية، ومن الصعب أن تتبع هذه العلاقة ؛ لأن المصادر اليونانية واللاتينية تكاد تخلو من أي أشاره لهذه المسألة.

ويمكن القول أن الغرب الأوربي لم يكن قبل الحروب الصليبية يعبأ كثيرا باستكشاف عالم النساء المسلمات ؛ لأنه خلال تلك الفترة المبكرة من عمر الإسلام لم يكن هناك اهتمام في أوربا بالإسلام[٤]. وظهور الدين الإسلامي كعقيدة توحيدية

---

(١) تبوك: خرج الرسول عليه السلام على رأس جيش إلى تبوك في رجب سنة ٩ من الهجرة، بعد أن وصلت إليه أنباء من الأنباط الذين يأتون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم جمعت جموعا وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من نصارى العرب، وجاءت في مقدمتهم إلى البلقاء، فأراد الرسول عليه السلام أن يغزوهم قبل أن يغزوه. انظر عنها: ابن هشام، المصدر السابق، ٤/ ١٤٦-١٤٨؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر ، ٢/٢٩٢-٣٠١.

(٢) ابن هشام، نفسه، ٤/ ٣٣٨ ؛ الطبري، تاريخ ، ٢ /١٨٥.

(٣) الطبري، تاريخ، ٢/٢٢٨

(٤) Norman Daniel, The Arabs and Mediaeval Europe (London: Longman, ١٩٧٥), p. ٩.

جديدة لم يُلحظ إلا بصعوبة في أوروبا [١] ؛ لدرجة أن هذا الدين الجديد كان مجهولًا عند الكثير من الأوربيين لسنوات عديدة امتدت من ظهور الاسلام حتى مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وحسب وجهة نظر بعض الكتاب الأوربيين، فإن السكان السابقين للجزء الغربي من الإمبراطورية الرومانية لم يكونوا يرون الإسلام وأتباعه قضية حيوية بالنسبة لهم[٢]، لذلك استطاع المسلمون بعد مرور أكثر من قرن على ظهور الإسلام من عبور جبال البرانس وتأسيس دولة في الأندلس[٣].

ومهما يكن من أمر، فقد انتقلت الأخبار الأولى عن ظهور الإسلام في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي من النصارى العرب في شمال شبه جزيرة العرب إلى الإمبراطورية الرومانية "البيزنطية" بحكم العلاقات بين القبائل العربية والإمبراطور هرقل Heraclius (٥٧٥م -٦٤١م/ ٢٠هـ) [٤]. وصاغت تلك الأخبار، إضافة الى حركة الفتوحات الإسلامية في بلاد

---

(١) جورافسكي، أليسكي. الإسلام والمسيحية، ترجمة، خلف محمد الجواد، الكويت، سلسة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،(١٩٩٦م)، ص ٣٩.

(٢) Maxime Rodinson and Roger Veinus, Europe and the Mystique of Islam (London: I.B. Tauris, ٢٠٠٢), p. ٤

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٢٩.؛ المراكشي، المعجب، ص ١٦- ٢٠؛ ابن عذاري المراكشي، كتاب البيان المغرب، ٢ / ٧.

(٤) هرقل (٦٣٠-٦٤١م): هو هرقل بن هرقل ينحدر من أصل أرمني، كان والده يحكم إفريقية، استنصره الشعب الروماني في القسطنطينية ليخلصهم من ظلم فوقاس، فأرسل هرقل ولده الذي سماه هرقل على رأس أسطول إلى مصر، حيث انتصر على أسطول فوقاس، وفتح له الجيش أبواب المدينة، وأبى الشيوخ إلا أن يتولى هرقل عرش الإمبراطورية =

فارس[١] والشام، المعرفة الأولى بالإسلام. وفيما بعد انتقلت تلك المعرفة والرؤية البيزنطية للإسلام الى البابوية والغرب الأوروبي [٢].

=

بنفسه، فنادوا به امبراطوراً في اليوم نفسه، وكان لهرقل حروب مع الفرس، بالإضافة إلى حروبه مع المسلمين في بلاد الشام، التي من أشهرها أجنادين (١٤هـ)، واليرموك (١٥هـ). انظر: رستم، أسد. الروم في سياستهم وحضارتهم، ودينهم ، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، بيروت ، ط١، دار المكشوف ،١٩٥٥م، ١/ ٢٢٠-٢٥١.

(١) بلاد فارس: أو الإمبراطورية الفارسيّة، وتقع إلى الشمال الشرقي لشبه الجزيرة العربيّة، وكانت تشمل ايران وافغانستان الحالية ، تأسست في القرن الخامس قبل الميلاد على يد الملك "كورش" . وتعرف بلاد فارس أيضاً بالدولة "الكسروية" ، هي من أعظم الدول والإمبراطوريّات التي سبقت العهود الإسلاميّة ، حتى قيل بأنها تفوقت في عظمتها وقوّتها على الإمبراطوريّة البيزنطيّة، وفي عهد ملكها دارا بن دارا غزا الإسكندر اليوناني إيران، وقد بقية الإمبراطورية الفارسية حتى اسقطتها الجيوش الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر عنها: المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين .(ت ٣٤٦ هـ). مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، د. ط، المكتبة العصرية، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ١/ ٢٢٠-٢٢١؛ الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ) . تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، بيروت ،ط٣، مكتبة الحياة، (١٩٦١م) ص٣٣؛ بيرنا، حسن. تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة، محمد نور الدين عبد المنعم والسباعي محمد السباعي، مراجعة يحيى الخشاب، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية (د.ت)، ص ١٦٣-١٧٣.

(٢) الطحاوي، حاتم. المسلمون في الأدب الأوروبي الوسيط.. ملحمة الفارس رولان نموذجاً، جريدة الحياة، العدد (١٦٤٠٢)، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨مـ، ص ١٧. Mohja Kahf,

=

وقد أدى الفتح الإسلامي للأندلس[١] وصقلية[٢] في القرن التالي مباشرة إلى لفت الأنظار إليهم بشكل واسع. ولكن ظهورهم على الأراضي الأوروبية نُظر إليه في البدايات الأولى بوصفه كارثة مماثلة، إن لم تكن أسوء من الاجتياحات المغولية[٣] للمراكز الحضارية والثقافية في العالم الأمر الذي استثار الفزع الشديد والقلق عند النصارى الأوروبيين[٤].

وهكذا وجدت أوربا الغربية نفسها أمام الإسلام وجهًا لوجه، فبدأ الاستغناء عن تلك المعرفة السماعية من الشرق البيزنطي، إذ بات المسلمون في قلب مرآة الغرب

=

Western Representations of the Muslim Women from Termagant to Odalisque (Austin, TX: University of Texas Press, ٢٠١٠), p. ١٥.

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٢٩.؛ المراكشي، المعجب، ص ١٦- ٢٠؛ ابن عذاري المراكشي، كتاب البيان المغرب، ٢ / ٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل ٥/ ٤٣٦ وما بعدها، ١٥٢؛النويري، نهاية الأرب، ٣٥٦/٢٤.

(٣) المغول: هم قبائل من اواسط آسيا موطنها الأصلي منغوليا الواقعة شمال الصين امتازت بالهمجية والوحشية والتعطش لسفك الدماء وقد اجتاحوا الشرق الإسلامي بقيادة هولاكو، وقيل هولاو بن تولي خان بن جنكيز خان المغولي، حيث تمكن من الاستيلاء على بغداد سنة ٦٥٦هـ، وأسقط الخلافة العباسية هناك. انظر: القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، بيروت، ط١، دار الكتب العلمية، (١٤٠٧هـ) ، ٤ /٣٠٨؛ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، بيروت، ط١، دار الكتب العلمية، (١٤١٣هـ) ، ٧/ ٦٧-٧٤.

(٤) جورافسكي، الإسلام والمسيحية ، ص٣٩.

الأوروبي[١] بفضل انتصاراتهم العسكرية المتتالية على القوط الغربيين[٢] في الأندلس ودخولهم الى الأراضي الواقعة في جنوب فرنسا[٣].

يتضح مما سبق أن نصوص العصور الوسطى الأوربية قبل عصر الخروب الصليبية تكاد تخلو من إي اشارة إلى النساء المسلمات على الرغم من أن المسلمين أقاموا دولة في أوربا نفسها، وهي الدولة الاموية في الأندلس (١٣٨ - ٤٢٢ هـ / ٧٥٦ - ١٠٣١م).

المبحث الثاني : عوامل نمو فضول الصليبيين واهتمامهم بالنساء المسلمات :

خلال عصر الحروب الصليبية بدا وكأن الغرب الأوربي يعيد اكتشاف الشرق الإسلامي كعالم جديد كشف عن نفسه لهم، وقد عبر يوشع براور عن ذلك قائلًا " كان الشرق المسلم والمسيحي، هو الاكتشاف الكبير بالنسبة للصليبيين، وكان من الطبيعي أن يعلم الغرب بوجود الشرق، فقد زاره الحجاج والمرتزقة، ولكن بقدوم الصليبيين إلى الشرق، صار هذا الشرق جزء لا يتجزأ من التصور الأوربي للعالم،

---

(١) الطحاوي، حاتم، المسلمون في الأدب الأوروبي الوسيط.. ملحمة الفارس رولان نموذجاً، جريدة الحياة، العدد (١٦٤٠٢)، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ١٧؛ ٣٤ Kahf, ,p. Western Representations

(٢) القوط الغربيين: قبائل جرمانية سيطرت على شبه جزيرة أيبيريا وعلى بلاد الغال أو ما يعرف الآن بجنوب غرب فرنسا منذ القرن الخامس وحتى القرن الثامن الميلادي، وهي إحدى الدول الجرمانية التي استقلت عن الإمبراطورية الرومانية الغربية. انظر عنهم: القيصري، الحروب القوطية، ص ٥ وما بعدها ؛ منصور، مدخل إلى أوربا ، ص ١٢٢-١٠٨.

(٣) بن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٩.٢٦.

ومن تصورهم للعالم المسكون، وكان هذا تطورًا رئيسًا في الشعور الغربي الآخذ في النمو فيما يتعلق بالبلدان والشعوب والثقافات الواقعة فيما وراء أوربا"[١].

ومهما يكن من أمر، فقد انخرطت النساء المسلمات في جوانب من حياة الصليبيين، فقد وقعن أسيرات في أيدي المحاربين الصليبيين[٢]، بينما عملت أخريات كخادمات في منازلهم[٣]. أو طباخات في بيوت الفرسان الصليبيين[٤]، وبعضهن عملن في إدارة طواحين الصليبيين[٥] .

وعلى الرغم من البغض الظاهر الذي يكنه الصليبيون للمسلمين خلال عصر الحروب الصليبية، والذي يتضح في كتابات المؤرّخين والرحّالة الأوربيين ممّن عاصروا

---

(١) براور؛ يوشع. عالم الصليبيين، ترجمة، محمد خليفة وآخرون ، القاهرة، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،(١٩٩٩م)، ص ٧٥.

(٢) فوشيه الشارتري. الاستيطان الصليبي في فلسطين "تاريخ الحملة إلى القدس" ١٠٩٥-١١٢٧م، ترجمة وتحقيق، سهيل زكار، في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٦ ، د. ط، دمشق، دار الفكر،١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ص ٣٩٦ ؛ ، ص ٣٩٦؛ ابن الخياط، محمد بن محمد بن علي بن يحيى التغلبي الدمشقي (ت٥١٧ هـ). ديوان ابن الخياط، تحقيق، خ . مردم بك، دمشق، (١٩٥٨م)، ص ١٨٥؛ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص١٩٢؛ ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني (ت ٦١٤هـ). رحلة ابن جبير المسماة: "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، بيروت، د. ط، (١٩٦٤م) ، ص ٢٣٨؛ وليم الصوي. الحروب الصليبية، ١/٢١٦-٢١٧.

(٣) فوشيه لشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص٣٩٦ ؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير ، ص ٢٣٨.

(٤) ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص ٢٤٦.

(٥) فوشيه لشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص٣٩٦.

تلك الفترة، فقد جاءت مدوناتهم مليئة بالنعوت المنفرة من المسلمين مثل "الجنس الخسيس والشرير"(١) و"أعداء الله"(٢) و"السفلة"(٣) و"الوثنيين(٤)" و"الكفرة"(٥) و"الجنس الملعون المحروم من رحمة الرب"(٦)، وهي أوصاف بلا شك صادرة عن شعور بالعداء للمسلمين، ولكن يظهر شعور ضمني منفصل عندما تتحدث الحوليات عن النساء المسلمات، وتتعامل معهن كشيء آخر منفصل؛ وفي الغالب من ناحية الشعور بالاختلاف. وكل هذه العوامل اجتمعت لتؤثر على الصور الغريبة التي رسمها الصليبيون للنساء المسلمات(٧).

---

(١) فوشيه الشارتري، المصدر السابق، ص ٣٦.

(٢) مؤرخ مجهول. أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة، حسن حبشي، د. ط، بيروت، دار الفكر العربي،(د. ت) ، ص ٤٠.

(٣) The Speech of Urban :The Version of Baldric of Dol,in:Pctcrs,pp.٢٩.

(٤) مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة ، ص ٤٠،٧٠، ١١١؛ ريموند دي آجيل. تاريخ الفرنجة الذين استولوا على القدس، ترجمة وتحقيق، سهيل زكار في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٦ ، د. ط، دمشق، دار الفكر، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ص ٩٠.

(٥) فوشيه لشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص ٣٦٨.

(٦) مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة ، ص ٤٠.

(٧) Brady.Laura A. (١٩٩٢). "Essential and Despised: Images of Women in the First and Second Crusades, ١٠٩٥-١١٤٨", MA Thesis, University of Windsor, p. ١١٥.

ويمكن أن نعد نمو فضول الغرب بالنساء المسلمات خلال العصور الوسطى، كأحد نتائج الحروب الصليبية، والجذور الأولى لظهور ما أطلق عليه في العصر الحديث مسمى الاستشراق[١].

ونستطيع أن نحدد العوامل التي أدت إلى دخول المرأة المسلمة في دائرة اهتمام الصليبيين في جانبين مهمين وهما:

أولًا: الأسر ودوره في لفت الانتباه إلى النساء المسلمات:

يمكن أن نعد الأسر أهم عامل جعل النساء المسلمات يدخلن في دائرة اهتمام الصليبيين، فقد وقعت أعداد كبيرة من النساء المسلمات أسيرات في أيدي الفرنجة.

وتروي المصادر العربية واللاتينية الكثير من الحالات التي تعرضت فيها النساء المسلمات للأسر[٢].

---

(١) مفهوم الاستشراق orientalism يعني: "علم الشرق أو علم العالم الشرقي" زقزوق؛ محمود حمدي. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة، دار المعارف،(١٩٩٧م)، ص ١٨. وأحيانًا يقصد به: "أسلوب للتفكير يرتكز على التمييز المعرفي والعرقي والأيد لوجي بين الشرق والغرب". أما المفكر إدوارد سعيد فيعرف الاستشراق بأنه:" نمطًا من الاسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه. انظر: سعيد؛ إدوارد. الاستشراق، ترجمة، كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط٧،(٢٠٠٥م)، ص ١٢٠.

(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص ٣٩٦؛ ابن الخياط، ديوان ابن الخياط،ص ١٨٥؛ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص١٩٢؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٣٨؛ وليم الصوي، الحروب الصليبية، ١/٢١٦-٢١٧؛

ويبدو أن هذه المشكلة كانت منتشرة بشكل واسع في ذلك العصر، حيث كانت النساء تأخذ مع الأطفال والرجال كغنيمة من غنائم الحرب[١] .

وحدثت حالات أسر النساء المسلمات منذ بداية قدوم الحملات الصليبية، فبعد سقوط أنطاكيا[٢] عام ١٠٩٨هـ/ ٤٩١ أسر أحد نبلاء الفرنجة ويدعى وليام[٣] زوجة ياغي سيان (٤٧٧ -٤٩١هـ\١٠٨٥ -١٠٩٨م [٤]) حاكم المدينة، واثنين من

---

(١) حماد، منى. الأسرى المسلمون و الصليبيون و طرق معاملتهم بين الإطار القانوني و الواقع التاريخي ١١٩١ - ١٠٩٧ م / ٥٨٦ - ٤٩٠ هـ، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، (د.ت)، ص ٥٣-٧٢.

(٢) أنطاكية: تقع على نهر سوديا على بعد ثمانية فرسخات من البحر تعد من أجمل المدن السورية، وتأتي بعد مدينة دمشق في الجمال والروعة. انظر: دانيال الراهب. رحلة دانيال المسماة وصف الأرض المقدسة في فلسطين ١١٠٦-١١٠٧م، ترجمة، سعيد البيشاوي وداود أبو هدبة ، عمان ، ط١ دار الشروق، (٢٠٠٣م) ، ص٨٩؛ لسترنج، كي. فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة، محمود عمايري، عمان، ط١، جمعية المطابع التعاونية، (١٩٧٠م) ص٣٠٢.

(٣) قد يكون وليم الأول ، وهو بطريرك بيت المقدس ولد في فلمنكا وكانت مدينة مالينز موطنه الأصلي؛ حضر إلى الأراضي المقدسة من فلاندر ، وبدأ عمله في كنيسة القيامة منذ سنة ٥١١ هـ/ ١١١٧ م. وتدرج في المناصب حتى أصبح رئيسًا لكنيسة القيامة ثم انتخب بطريركًا لبيت المقدس سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م. انظر: الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ٢/ ٦٤٨.

(٤) ياغي سيان : هو مؤيد الدين ياغي سيان بن محمد بن ألب أرسلان السلجوقي أمير أنطاكيا ، ينظر : الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ). تاريخ الإسلام ووفيات =

حفدتها أبناء شمس الدولة[١]، فعرض شمس الدولة مبلغًا كبيرًا من المال مقابل إطلاق سراحهم[٢]. كما وقعت ابنة ياغي سيان أسيرة عند بوهمند Bohemond[٣](٤٩١ ـ ٥٠٥هـ /١٠٩٨ـ ١١١١م) حاكم أنطاكية، ثم وقع بوهمند اسيرًا عند الأمير كمشتكين[٤]منذ عام ٤٩٣ ه/ ١١٠٠ م، وبعد أن قضى ثلاث سنوات في الأسر عرض بوهمند على كمشتكين أن يطلق سراحه مقابل دفع فدية تقدر بمائة ألف دينار، وأن يطلق سراح ابنة ياغي سيان التي كانت في أسره ، وتم إطلاق سراح بوهمند في عام (

=

مشاهير الاعلام ، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري ، بيروت، ط ٤ ، دار الكتاب العربي ،(٤٩٩٧ م) ، ٤٩ /١٩.

(١) شمس الدولة: هو شمس الدولة أحمد أمير قلعة أنطاكية ، تنازل عن القلعة للصليبين سنة ٤٩١ هـ/ ١٠٩٩ م مقابل خروجه من القلعة بأمان. انظر: وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية،٢١٦/١؛ حماد، الأسرى المسلمون، ص ٦٠.

(٢) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية،٢٢٠/١.

(٣) أحد ابرز الأمراء الذين بسطوا نفوذهم في الشرق ، وهو ابن روبرت جسكارد الذي تمكن من تأسيس مملكة النورمان في جنوب ايطاليا. كان بوهمند أحد قواد الحملة الصليبية الأولى، وتمكن من تأسيس إمارة في أنطاكية، ثم حاول اقتطاع أجزاء من أملاك الإمبراطورية البيزنطية لتأسيس مملكة للنورمان في الشرق إلا أنه فشل في ذلك ليعود إلى ايطاليا محاصرًا مدينة أمالفي في جنوب ايطاليا. انظر عنه: وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ١/ ٢١١.

(٤) كمشتكين : هو الأمير كمشتكين بن الدانشمند طايلو، وقد قيل له ابن الدانشمند لأن أباه كان معلماً للتركمان، وقد أصبح حاكم ملطية وسيواس. انظر عنه: ابن الأثير، الكامل، ٤٣٨/٨.

٤٩٥ ه/ ١١٠٢ م[١]). كما أسر الصليبيون زوجة قلج ارسلان[٢]وولديها بعد الاستيلاء على نيقية[٣](٤٩٠هـ/١٠٩٧م)[٤]، ثم ارسلت مع بقية الأسرى إلى القسطنطينية[٥] .

ويدعي نيل كريستي Nile أن المؤرخين المسلمين في غالبية الحالات يظهرون هؤلاء النسوة مرعوبات وضحايا انتهاكات واعتداءات الفرنجة، ويتم ذكرهن من أجل تحريض المستمعين على التحرك ضد الصليبيين[٦]ولكن هذه لم تكن مبالغة من المؤرخين المسلمين، بل هي حقائق اثبتتها المصادر التاريخية الصليبية نفسها، فقد كشف

---

(١) عمران، محمود. بحوث في العلاقات بين الشرق والغرب، الإسكندرية، (٢٠٠٨ م)، ص ٦٠.

(٢) هو قلج أرسلان الأول بن سليمان بن قتلمش من سلاجقة الروم، وهو ابن وخليفة سليمان انظر: ابن الأثير ، الكامل ، ٧ /٢٩٣؛ و ٨/ ٤١٦، ٤٧٣؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوم بن قزاوغلي (ت ٦٥٤ ه). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق، مسفر الغامدي، د.ط، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث ،(د. ت)، الإسلامي، ٨-ق١، /٢٢؛ لسترنج؛ كي. بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة، بشير فرنيس وكوركس عواد ، بيروت، ط٢، مؤسسة الرسالة، (١٤٠٥ه/ ١٩٨٥م) ، ص١٧٤.

(٣) نيقية: مدينة في آسيا الصغرى من أعمال اصطنبول على البر الشرقي. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٣٨٤ – ٣٨٥؛ وهي الآن تابعة لتركيا. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٨٩-١٩٠.

(٤) وليم الصوي، الحروب الصليبية، ١/٢١٦-٢١٧.

(٥) وليم الصوي، المصدر السابق، ١/٢٢١.

(٦) كريستي، نيل. أدب الحروب الصليبية من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر في موسوعة النساء والثقافات الإسلامية، تحرير سعاد جوزيف وآخرون، الإشراف على الترجمة هالة كمال بالتعاون مع مؤسسة المرأة والذاكرة بالقاهرة، د.ط ، لندن، دار بريل،(٢٠٠٣م)، ص ٨٢.

جيبرت النوجاني Guibert of Nogent عن مصير المسلمات في المدن التي احتلها الصليبيون "، وكانوا يستحوذون على مسلمات في المدن المفتوحة [١]"

ويتحدث أيضًا صاحب " الحملة على القدس" بدم بارد عن مصير النساء المسلمات بعد أن استولى الصليبيون على أنطاكية (٤٩٢ هـ / ١٠٩٨م): " أما النساء اللواتي وجدن في خيام العدو فإن الفرنجة لم يمسوهن بأذى، واكتفوا بأن بقروا بطونهن بالحراب[٢]".

ويذكر ابن القلانسي أن الصليبيين استباحوا المدينة بعد الحصار الطويل، وقتلوا من الرجال والنساء والأطفال ما يخرج عن حد الإحصاء، وسبوا أعداد هائلة من النساء والأطفال [٣] .

كما قام الكونت ريموند الصنجيلي Raymond [٤] بقتل كل العرب رجالا ونساء، صغيرًا وكبيرًا[٥]، عندما سقطت معرة النعمان[٦] سنة (٤٩٢هـ / ١٠٩٨م) في أيدي الصليبيين، حيث قاموا بذبح وقتل كل الرجال والنساء المسلمين الذين صادفوهم

---

(١) Guibert of Nogent. Deeds of God , p.١٠٣؛ بالار؛ ميشيل، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ترجمة، بشير السباعي، القاهرة، ط١، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٣م. ، ص ٦٦.

(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس ، ص ٣٥١.

(٣) ابن القلانسي؛ أبو يعلي حمزة (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م). ذيل تاريخ دمشق، نشر وتحقيق، سهيل زكار ، دمشق، (١٤٠٣هـ)، ص١٣٥.

(٤) ريموند السنجيلي Remond. De. St. Gilles هو ريمون سان جيل قومس تولوز، استجاب لدعوة الكنيسة بالقيام بحرب لنجدة المسيحية اليهودية في الشرق على حد زعمهم، بعد هزيمة السلاجقة للإمبراطور البيزنطي، فكان مع جودفري GodFrey de Bouillon دوق المنطقة السفلى من اللورين وبوهمند وغيرهم من أمراء أوربا انظر عنه: بالار، الحملات الصليبية ، ص٧٧ – ٧٨.

(٥) ابن الاثير، الكامل، ٢٧٨/١٠؛ Billings Malcolm, The Crusades,(New York: ١٩٨٧), p.٣٢ .

(٦) معرة النعمان: تقع قرب دابق من الشمال. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٣٣/١.

في المدينة، وقاموا بالقبض على الذين التجأوا إلى القصر، فقتل البعض وأخذ آخرين ليبيعهم كعبيد في أسواق أنطاكيا[١] .

ومهما يكن من أمر، فقد كانت الحروب الصليبية تجربة مريرة، ومحنة عظيمة للنساء المسلمات، عانين فيها ما بين قتل[٢] وأسر وانتهاك للحرمات. وقد صور الشاعر ابن الخياط[٣]محنة النساء المسلمات خلال الحملة الصليبية الأولى في شعره قائلًا:

فكَمْ مِنْ فتاةٍ بِهمْ أصبحَتْ تدُقُّ مِنع الخَوفِ نَحْراً وخَدّا
وأُمٍّ عواتِقَ ما إنْ عَرَفْـــنَ حَـــرّاً وَلاَ ذُقْنَ فِي اللَّيلِ بَرْدا
تَكادُ عليهنَّ مِنْ خِيفَـــةٍ تَذُوبُ وَتَتْلَـفُ حُزْناً وَوَجْدا
فحامُوا علَى دينكمْ والحريمِ مُحاماةَ منْ لا يرى الموتَ فقدا

وكان الوقوع في الأسر هو المصير المتوق للمسلمات في حالة وقوع المدن الإسلامية في قبضة الصليبيين، فقد حذر الشاعر الأبيوردي[٤]القادة والأمراء المسلمين بعد سقوط

(١) توديبود؛ بطرس. تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى الإنجليزية، جون هيوج هيل ولورتيال هيل، ترجمة، حسن محمد عطية ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د. ط،(١٩٩٩م)، ص٧٥.

(٢) ابن القلانسي ، الذيل، ص ١١٥.

(٣) ابن الخياط، ديوان، ص ١٨٥.

(٤) هو محمد بن أحمد بن محمد القرشي الأموي، أبو المظفر (٥٠٧ هـ/ ١١١٣ م): شاعر عالي الطبقة، مؤرخ وعالم بالأدب. ولد في أبيورد بخراسان، من كتبه: (تاريخ أبيورد)، (المختلف والمؤتلف) في الأنساب، و (طبقات العلماء من كل فن) و (أنساب العرب)، إضافة إلى ديوان شعره. انظر عنه: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ). العبر في خبر من غبر، تحقيق، محمد السعيد، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٩٨٥م)، ٣٠/٦.

بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م في أيدي الصليبيين من أن النساء المسلمات سيصبحن سبايا في أيدي الأعداء إن تخاذلوا عن الدفاع عن المدن الإسلامية في بلاد الشام في محاولة لاستثارة الحماس في نفوسهم

فإنْ أَنْتُمُ لَمْ تَغْضَبُوا بَعْدَ هذِهِ رَمَيْنا إِلى أَعْدائِنا بِالَجرائِمِ[١]

لذلك كانت المسلمات يفضلن الموت على الوقوع في الأسر؛ لما يترتب عليه من مباشرة الإساءة في المعاملة، والاغتصاب، على اعتبار أن هذه الحالة طبيعية في الحروب، ووقوع المدنيين في أسر العدو كغنيمة، وخاصة النساء كسبايا كان يحمل دوما صبغة جنسية[٢]. ولهذا كان يفترض دومًا أن المرأة التي تقع في الأسر لا يمكن أن تحافظ على شرفها، ولا تلام على ذلك[٣] حتى أن ابن منقذ ذكر قصص عن نساء أغرقن أنفسهن في النهر خوفًا من الوقوع في الأسر[٤]

وكان ينظر إلى المرأة التي تحافظ على شرفها حتى لو قتلت في سبيل ذلك نظرة بطولية، وهذا ما يؤكده أسامة بن منقذ في كتابة الاعتبار، حيث يرى أن أسوأ مصير يمكن أن تقع فيه المرأة النبيلة هو الوقوع في الأسر وهذا أسوأ من الموت. ويذكر في هذا السياق القصة التي تتحدث عن رفول، وهي ابنة رجل كردي يدعى أبا الجيش سباها

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ). البداية والنهاية، القاهرة، دار الفكر العربي، (١٩٣٣م)، ١٢/ ٥٦.

(٢) Yvonne Friedman, Captivity and Ransom: The Experience of Women in Gendering the Crusades, ed. Susan B. Edgington and Sarah Lambert (New York: Columbia University Press, ٢٠٠٢). P. ٨.

(٣) Majid Khadduri , War and Peace in Islam, (Baltimore: ١٩٥٥). P. ١٧٤

(٤) ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص ١٧٩.

الصليبيون وقد شعر بمرارة شديدة حيث كان يقول لكل من يراه " لقد سبيت رفول ". وعندما عثر عليها غريقة في النهر، حيث ألقت بنفسها من على فرس الصليبي الذي أخذها مفضلة الموت غرقا على الوقوع في الأسر، هنا "سكنت لوعة أبيها أبي الجيش[١]".

وقد عبر ابن جبير عن سوء أحوال الأسرى المسلمين الذين كانوا تحت أيدي الصليبيين رجالًا ونساءً حين زار فلسطين بقوله: " ومن الفجائع التي يعانيها من حل بلادهم أسرى المسلمين، يرسفون في القيود، ويصرفون في الخدمة الشاقة تصريف العبيد، والأسيرات المسلمات كذلك، في أسواقهم خلاخيل الحديد، فتنفطر لهم الأفئدة ولا يغني الإشفاق عنهم شيئاً [٢]".

والملاحظ أن الصليبيين لم يتعاملوا مع الأسرى الرجال والنساء بنفس المقياس. ويصف المؤرخون الصليبيون كيف أن الصليبيين كانوا يجمعون النساء كما يجمعون الغنائم الأخرى[٣].

وترى لورا برادي Laura A. Brady أن النساء المسلمات اعتبرن من المقتنيات الشخصية للمقاتلين المسلمين، لذلك فإنهن غنيمة يبحث عنها الصليبيون[٤].

---

(١) ابن منقذ، المصدر السابق، ص١٩٢.

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٣٨ .

(٣) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص ٣٩٦؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ١/٥٦٥.

(٤) Brady, Essential and Despised, p. ١١١.

وقد تكون وجهة نظر صحيحة خاصة أن هناك ما يؤيدها في المصادر اللاتينية، فقد عرض لنا المؤرخون الصليبيون عددًا من الأمثلة التي تعكس هذه النظرة، حيث ذكر وليم الصوري، أنه في عام ٥١٨هـ/ ١١٢٤م، قام بالدوين الثاني[١] Baldwin II (٥١٢ ٥٢٥ هـ /١١١٨ ١١٣١ م) بهجوم على شرقي الأردن، وفاجأ السكان على غفلة فقتل منهم عدًدا كبيرًا، وأسر عددًا أكبر من الرجال والنساء، مما أدخل السرور إلى قلوب الصليبيين، ويضيف : أن النساء يعتبرن أفضل غنيمة لأجل البيع، كما تباع الخيل أو البضائع الأخرى[٢].

ولدينا مثال آخر ذكره الشارتيري، بعد تغلب الصليبيين على كربوغا[٣] في انطاكية، حيث قاموا بالبحث في خيام المسلمين، فوجدوا نساءً في الخيام، فبقروا بطونهن بالحراب[٤] ولا شك أن ذلك بدافع الانتقام من المسلمين؛ لأنهن حسب وجهة نظر

(١) بلدوين الثاني: هو ابن هيو الأول، و ابن عم جو دفري وبلدوين الأول ، وقد خلف بلدوين الأول على ولاية الرها أولا ثم على مملكة بيت المقدس. انظر عنه: فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص ١٨٥؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ١/ ٥٦٥.

(٢) المصدر السابق، ١/ ٥٦٥.

(٣) الأمير قوام الدين أبو سعيد كربوغا (أو كربوقا) بن عبد الله الجلالي هو أمير تركماني من مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان، ومن قادة حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين. كان أميرًا للموصل، وتولى تربية عماد الدين زنكي وتعليمه فنون الفروسية والقيادة والقتال. انظر عنه: ابن الأثير، الكامل، ١٠/ ٣٤١ ؛ الجميلي، رشيد، كربوقا صاحب الموصل والصليبيون، مجلة "التاريخية"، سنة ١٩٧٢، العدد ٢، ص ٢٢٨ .

(٤) تاريخ الحملة إلى القدس ، ص ٣٥١.

الصليبيين من ممتلكات المسلمين الأثيرة التي في اتلافها أو الاستيلاء عليها كسر لشوكة المسلمين وتحطيم لمعنوياتهم.

واظهر الشارتيري في تاريخه ردة فعل الصليبيين تجاه النساء المسلمات، حيث كان أسر النساء في بعض الأحيان، أهم من الرجال؛ ونادرا ما كانت النساء تقتل؛ لذلك كان التعامل معهن يعتمد على الفائدة الاقتصادية التي يمكن الحصول عليها، وهذا يرتبط أولًا بالمكانة الاجتماعية للمرأة وبالذات إذا كانت من العائلات النبيلة؛ لأن العائد الاقتصادي كان أكبر خاصة في حالة وجود صاحب نفوذ مستعد لافتدائهن، حيث كان يتم الحفاظ على حياتهن مثل زوجة ياغي سيان، وابنته[١].

أما نساء العامة، فيتم الاستفادة منهن اقتصاديًا إما يبعهن كعبيد في الأسواق، أو استخدمهن للأعمال اليدوية، أما النساء المسلمات الجميلات، فيرسلن كهدايا للأصدقاء[٢]، فعندما احتل الصليبيون مدينة قيسارية [٣]سنة ٤٩٩هـ/١١٠١م، ارتكبوا مجزرة مروعة ضد سكانها، وأبقوا على حياة النساء المسلمات؛ فتحولن جميعًا إلى جاريات، وعملن بالأعمال الشاقة حيث كلفن بالعمل في الطواحين. أما من لم يستطعن العمل في الطواحين وغيرها فقد كان يتم المتاجرة فيهن[٤].

---

(١) وليم الصوي، الحروب الصليبية، ١/٢١٦-٢١٧؛ عمران ، الحملات الصليبية، ص ٦٣.

(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص ٣٩٦.

(٣) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام يعد من اعمال فلسطين. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ٤/٤٢١.

(٤) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص ٣٩٦.

ومن الفوائد الاقتصادية الأخرى التي جناها الصليبيون من النساء المسلمات سلبهن ما لديهن من نقود. ويذكر يصور لنا فوشيه الشارتيري كيف كان الصليبيون حريصون على انتزاع النقود من المسلمات، حيث ذكر عند حديثه عن حصار أنطاكية أن النساء المسلمات أخفين الدنانير الذهبية في أحشائهن بطريقة بشعة يمنعه الحياء من ذكرها[١]. كما ذكر المؤرخ الصليبي أن الصليبيين عذبوا امرأة أسيرة في طرابلس بوحشية لانتزاع النقود منها[٢]. مما يدل على شدة طمع الصليبيين وجشعهم.

يتضح مما سبق دور الأسر في اختلاط الصليبيين بالنساء المسلمات، وتعاملهم معهن بشكل لم يسبق له مثيل قبل عصر الحروب الصليبية.

ثانيًا: الحجاب ودوره في لفت الانتباه إلى النساء المسلمات.

عندما جاء الصليبيون إلى الشرق وجدوا عالمًا مختلفًا عما ألفوه في الغرب، ومنه عالم المرأة المسلمة الذي بدا لهم مغايرًا لعالم نساءهم، فمن خلال اشارات المصادر يتضح أن النساء المسلمات لفتن الانتباه بحجابهن وحشمتهن التي لم تكن شائعة بين النساء الأوربيات[٣] خلال تلك الفترة التاريخية، مما أثار الفضول في نفوس الفرنجة القادمين إلى الشرق الإسلامي خاصة وهم يرون المسلمات يمشين في الأسواق والطرقات محجبات من رؤوسهن حتى أخمص أقدامهن وهو منظر لم يكن مألوفًا في

---

(١) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس ، ص ٣٩٧.

(٢) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, History of the Journey to Jerusalem. Edited by Susan B. Edgington. A Clarendon Press Publication , ١١. ١٤

(٣) مما يجدر ذكره أن الكتاب المقدس يأمر بالحجاب، لكن الإفرنجيات لم يكن يلتزمن بتعاليم الكتاب المقدس. انظر: الكتاب المقدس (أي العهد القديم والجديد) ،القاهرة، ط١، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (١٩٩٩م)، سفر التكوين: ٢٤\٦٥.

الحياة اليومية للأوربيين في ذلك العصر، خاصَّة وأن الإفرنجيات كما وصفهن المؤرخون المسلمون المعاصرين للحملات الصليبية كن على النقيض تمامًا[١].

لذلك كان الأوربيون ينظرون إلى المسلمات ككائن متميز، فعلى الرغم من أنهن يشتركن مع غيرهن من الإناث في الصفات والاهتمامات الأنثوية إلا أن هناك ما يميزهن عن بقية النساء[٢].

ويرى ايسبوسيتو Esposito أن ارتداء الحجاب خلال العصور الوسطى لم يكن يهدف بالتأكيد إلى التمييز أو الانقاص من شأن النساء المسلمات أو إهانتهن. ومن الممكن أنه كان يستخدم كحماية لهن من الاهانة و التعرض لتحديق الرجال الغرباء[٣].

وحتى ندرك الفرق بين وسلوك وشخصية المرأة الصليبية وسلوك وشخصية المرأة المسلمة الذي استرعى انتباه الصليبيين، لابد أن من عرض بعض الأمثلة حتى تتضح الصورة.

---

(١) ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص ١٣٥-١٣٧؛ العماد الأصفهاني، . الفتح القسي، ص ٢١٢-٢١٣؛ ابن جُبير، رحلة ابن جبير، ص٢١٣.

(٢) Billie Melman, Women's Orients (London: Macmillan, ١٩٩٢), p. ٣١٦.

(٣) John Esposito, Islam: The Straight Path, ٣rd edition (Oxford: Oxford University Press, ٢٠٠٥) p. ٩٨.

يفهم مما ذكره المؤرخون المعاصرون للحروب الصليبية أن المرأة الإفرنجية كانت تفتقر إلى الاحتشام ناهيك عن ارتداء الحجاب[١]، بل إن سفور المرأة الصليبية استرعي نظر الشاعر ابن القيسراني (٤٤٨ - ٥٠٧ هـ / ١٠٥٦ - ١١١٣ م)، فأخذ يقارن بينها وبين المرأة المحجبة في إحدى ثغرياته[٢].

و قد ذكر أسامة بن منقذ عدة روايات عن نساء إفرنجيات لم يكن يتحرجن من الظهور عاريات أمام الرجال على مرأى وأمام بصر أزواجهن وأولياء أمورهن وبرضاهم التام. ويذكر ابن منقذ روايتين أحدهما رويت له والأخرى شاهدها بأم عينيه حيث ذكر أن إفرنجيًا ادخل ابنته حمام الرجال وجعلها تستحم أمام أعين الرجال دون وازع من حياء أو دين.[٣]

كما أنها كانت تظهر عواطفها للرجل علنًا من دون حياء. وهذه أمور لم تعتَدها المجتمعات الشرقيّة المسلمة المحافظة التي كانت تحرص على اتباع تعليم الدين الاسلامي، ويروي أسامة بن منقذ عدة حوادث شاهدها في علاقاتهم على الصعيد الأخلاقي واستنكرها أشد الاستنكار[٤]. حتى أن الرحالة المسلم ابن جُبير راعه ما رآه

---

(١) ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص ١٣٥-١٣٧؛ العماد الأصفهاني، الفتح القسي ، ص ٢١٢-٢١٣؛ ابن جُبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٣٧؛ ٣؛ الفيتري، يعقوب الفيتري. تاريخ بيت المقدس، ترجمة، سعيد البيشاوي، عمان، ط ١، دار الشروق، (١٩٩٨م)، ص ٩٩-١٠٥.

(٢) العماد الأصفهاني، القاضي عماد الدين الكاتب(ت٥٩٧ هـ). خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، تحقيق ، شكري فيصل، (١٩٥٥م)،٩٩/١.

(٣) ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص ١٣٧- ١٣٦.

(٤) ابن منقذ، المصدر السابق، ص ١٣٥. وانظر أيضًا مثال آخر: ابن منقذ، نفسه، ص١٣٦.

من مرافقة نساءٌ فرنجيات الرجال خلال عرس أفرنجي شاهده بنفسه، فاستعاذ بالله من "فتنة المظاهر[١]". كما ذكر المؤرخ عماد الدين الأصفهاني دورهن في إغراء الرجال، حيث إن العاهرات صاحبن الجيوش، وأن بيوت الدعارة كانت تقام داخل المعسكرات[٢].

ويرى فكتور الكِك أن نظرة المؤرّخين المسلمين كانت قاسية لم تتفهّم تقاليد المجتمعات الغربيّة السائدة بالنسبة إلى المرأة، وبخاصة التقاليد التي سادت مجتمعات الفرنج في الشرق، في الممالك اللاتينيّة. وقد استرعى نظرهم مجاهرتها بالحبّ وخيانة نساء فرنجيّات لأزواجهنّ، فحكموا عليهنّ بالفساد والشذوذ عن المألوف والغرابة في التصرّفات[٣].

ولكن الحقيقة أن نظرة المؤرخين المسلمين لم تكن قاسية كما ذكر كلك بل هي تعكس وجهة نظر المؤرخين الصليبيين أنفسهم مثل جيبرت دي نوجينت، وألبرت أوف آخن أوف دول، وروبرت الراهب، وفوشيه الشارتيري[٤]، الذين انتقدوا بشدة التفسخ الأخلاقي للإفرنجيات، وعابوا على الصليبيين استسلامهم لغوايتهن؛ لأنهم اعتبروهن السبب الرئيس للنكسات التي حدثت للصليبيين، وحالت دون انتصارهم على المسلمين في مواقع كثيرة. فخلال حصار نيقية (٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م)، أو أمام

---

(١) ابن جُبير، رحلة ابن جبير، ص٢١٣.

(٢) عماد الدين الأصفهاني، الفتح القسي، ص ٢١٢-٢١٣.

(٣) الكِك، فكتور. العلاقات الثقافية بين المسلمين والفرنْج في العصور الوسطى، مجلة التفاهم، مجلة فصلية فكرية اسلامية، (٤٢)، (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م).

(٤) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص ٣٣٩.

انطاكية (٤٩١هـ /١٠٩٨م)، أو أمام دمياط[١](٦١٦ هـ / ١٢١٨م) تمارس المومسات (البغايا) نشاطهن في معسكر الصليبيين إلى درجة أن جوانفيل مرافق القديس لويس التاسع[٢]يغضب إذ يراهن منكبات على مهنتهن، وإن كان لا يملك سوى رمي حجر عليهن من خيمة الملك[٣]. وفي حصار انطاكية جرى ابعاد عدة آلاف من النساء الزاحمات للمعسكر إلى مكان حصين، يبقين فيه حتى يتم الاستيلاء على المدينة، ويصور لنا وليم الصوري هذا المشهد بقوله: إنه" تم تطهير المعسكر من كل عاهرة وامرأة كريهة السمعة[٤]". كما كان قادة الحملات الصليبية يقومون بطرد النساء المتزوجات والمومسات (البغايا) من الجيش قبل المعارك الحاسمة[٥].

(١) دمياط: من ثغور مصر القديمة، تقع على الشاطئ الشرقي لفرع النيل المسمى باسمها بينها وبني مصبه في البحر المتوسط ١٥ كيلو متر. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢\ ٥٣٧-٥٤٠.

(٢) ملك فرنسا قاد الحملة الصليبية السابعة سنة (٦٤٦-٦٥٢هـ/١٢٤٨-١٢٥٤م) ، ولحملة الثامنة سنة(٦٦٦- ٦٦٩هـ/١٢٦٧-١٢٧٠م) على تونس. انظر عنه: جوانفيل. مذكرات جوانفيل، القديس لويس التاسع، حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة، حسين حبشي، ط١، القاهرة، (١٩٦٨م)، ص ٥ . ١٠٠.

(٣) جوانفيل، المصدر السابق، ص ٩٩.

(٤) جوانفيل، المصدر السابق، ص ٩٩.

(٥) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص ٣٣٩؛ بالار، الحملات الصليبية، ص ٦٦.

حتى بلغ من تأثر بعض الصليبيين المقيمين في الشرق بما رأوه من حشمة النساء المسلمات أن منعوا سفور نسائهم حتى أن منهم من فرض على نسائه أن يرتدين الخمار على وجوههم، ومنعوهن من الخروج إلى الأسواق سافرات(١).

على كل حال، يمكن أن ندرك هذا الاهتمام المتزايد للأوربيين بالنساء المسلمات من خلال تتبع رحلات الرحالة الأوربيين إلى الشرق الإسلامي خلال العصور الوسطى ابتداءً من القرن السادس حتى القرن الثامن الهجري/ الثاني عشر حتى الخامس عشر الميلادي، والذين وثّقوا رحلاتهم إلى الشرق سواء في مذكرات ورقية وخطابات أو في تقارير شفوية عن جولاتهم وما صادفوه وانطباعاتهم الشخصية.

ومما تجدر ملاحظته أن هؤلاء الرحالة قدموا صور متنوعة للنساء المسلمات في تلك التقارير واعتمد وصفهم على وجهة نظر الرحالة وخلفيته. ويستطيع القراء أن يجدوا توثيقات بكلا من الخصائص الإيجابية والسلبية للنساء المسلمات في تلك الرحلات(٢).

ويعد الرحالة اليهودي بتاحيا الرتسبوني Pethahiah of Regensburg أول رحالة من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر اشار إلى عادة النساء في الشرق الإسلامي

---

(١) الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص ١٠٦.

(٢) Faegheh Shirazi, Muslim Women in War and Crisis: Representation and Reality (Austin, TX: University of Texas Press, ٢٠١٢), p. ٥.

الخروج محتشمات ؛ خلال وصفه لما شاهده أثناء رحلته إلى بغداد سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٥م[١].

واستمر حجاب المرأة المسلمة مثار اهتمام الأوربيين طيلة العصور الوسطى، فقد دون الراهب الأنجلو - أيرلندي سيمون فيتزسيمونز Simon Fitzsimons الذي سافر إلى مصر والأرضي المقدسة في(٧٢٢ -٧٢٣هـ /١٣٢٢ - ١٣٢٣م)، تقريرًا مفصلًا وشاملًا لآرائه وانطباعاته حول أهل الإسكندرية، وبشكل خاص النساء، حيث ذكر أن النساء المسلمات" يلبسن ملابس تغطيهن بالكامل (و كانت العينان تخفيان بشاش من الحرير) مع عباءة طويلة، وسترة قصير، وسروال"[٢].

كما وصف ميشولام فولتيرا Meshullam of Voltera خلال رحلته إلى مصر سنة ٨٨٦هـ /١٤٨١م، النساء المسلمات في الاسكندرية. قائلًا: "لقد تقصيت عن عادات أهل الاسكندرية وأساليبهم الحياتية المستغربة في كل النواحي، كانت النساء يَرَين ولكن لا يُرَون، فهن يضعن حجابًا أسودًا على وجوههن (مسنيفت بالعبرية) وهو الذي يحوي فتحات صغيرة." وكن يرتدين قلنسوة[٣]من الورق على رؤوسهن (miter

---

(١) Petachia of Retisbon, The Itinerary of Rabbi Petachia, ١١٧٤ – ١١٨٧, A.D., J. T, ed Adler, N, London, ١٩٣٠, P. ٦٩

(٢) Simon Fitzsimons, "Itinerary of Father Simon Fitzsimons (١٣٢٢-٢٣)" in ed. and trans. Eugene Hoade, Western Pilgrims (١٣٢٢-٩٢), Jerusalem, p. ٢٢.

(٣) قلنسوة: من الفعل العربي "قلنس" بمعنى غطى، وجمعها قَلاَنِسُ، وهي طَاقِيَةً، أو غِطَاء الرَّأْسِ، وأَشْكَالُهَا مُتَنَوِّعَةٌ، تعمل بالقصب والورق. انظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ). لسان العرب، الرياض، ط٣ مكتبة الرشد، (١٤١٤هـ\١٩٩٤)، =

ميترا بالايطالية)، تم ثنيها عدة مرات ولصقها وتزيينها، ويرتدين فوقها ملابس بيضاء تصل إلى كواحلهن، وتغطيهن حتى أنوفهن[١].

وهذا المزيج من الكلمات العبرية والايطالية يعكس محاولة الرحالة تقديم صورة دقيقة لما رآه، والتعبير عن مشاعره تجاه هذا الفارق الثقافي بين الشرق الإسلامي والغرب الأوربي. لكن زي المرأة المملوكية في الشارع كان أساسا حجابًا أسود للوجه، وقلنسوة مبطنة بالورق (طرطور)[٢]، و معطف أبيض كبير (يعرف بالإزار).

وفي النهاية علق ميشولام على ما رآه من اختلاف لباس النساء عما ألفه في آروبا، مستنتجًا أن النساء المسلمات أقل أخلاقًا من الأوروبيات، وهو ما يعكس خيال الغرب نحو الشرق[٣].

=

١٨٢/٦ ؛ عمارة، محمد. قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية ، القاهرة، ط١، دار الشروق،(١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص ٤٦٥.

(١) Meshullam, Ben R Menahem of Voltera, Itinerary of Rabbi Meshullam Ben R. Menahem, ١٤١٨ A. D, ed. N.E. Edler (London, ١٩٨٧), pp. ١٥٦ – ٢٠٨, esp. ١٥٨.

(٢) طرطور: الجمع : الطراطير ، وهو عبارة عن غطاء للرأس، طويل مدبب من أعلى، كان يتخذ –أحيانًا– من اللبد، ويزركش بشرائط ملونة، أو يكلل بالخرز والودع والأجراس وأذناب الثعالب والسنانير – وكان يتخذ، أحيانًا، لمن يلبسه إعلانًا عن التشهير والتجريس. انظر عنه: عمارة، مقاموس المصطلحات ، ص٣٥١.

(٣) Meshullam , Itinerary of Rabbi Meshullam, p. ١٥٨

ولا نعلم كيف استنتج ميشولام أن النساء المسلمات أقل أخلاقًا من الأوروبيات، مع أنهن أكثر احتشامًا منهن، لو لم تكن هناك صورة نمطية عن المرأة المسلمة قد انتقلت إلى الغرب الأوربي عن طريق الحروب الصليبية ؛ لتظهرها في مرتبة دون المرأة الصليبية بدافع الشعور بالتفوق الأوربي على المسلمين.

أما الحاج الإيطالي أشكنازي Ashkenazi، فقد عبر برأي مختلف عن رأي الرحالة ميشولام حول لباس المرأة المسلمة، حيث امتدح الزي المحتشم للنساء المقدسيات المسلمات[١].

كما استرعى لباس النساء المسلمات في القاهرة خلال العصر المملوكي انتباه الرحالة أرنولد فون هارفArnold von Harlf ، فأعطانا وصفا لهيئتهن حيث ذكر أن النساء خارج المنزل سواء كن يمشين في الطرقات أو مسافرات يغطين وجوههن بحجاب أسود وبذلك لا يعرفن، على الرغم من أنهن على ما يبدو يعرفن بعضهن. وجميعهن يلبسن بنفس الطريقة رداءً أبيضًا وخمارًا أسودًا، وهن محجبات حجابًا ثقيلًا حتى أزواجهن لا يستطيعون التعرف عليهن، ويلبسن تحت الرداء سروالًا و تنورة [٢]

يتضح مما سبق أن اهتمام رحالة القرون الوسطى بوصف حجاب النساء المسلمات في المدن الإسلامية التي زاروها دليل على أنهن شغلن حيزًا من اهتمامهم.

---

(١) Martin Jacobs, Reorienting the East: Jewish Travelers to the Medieval Muslim World (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, ٢٠١٤).p. ١٠١, ٢٠١, ٢٠٣.

(٢) Arnold von Harlf, The Pilgrimage of Arnold Von Harff: Knight, from Cologne, Through Italy, Syra, Egypt, Arabia, Ethiopia, Nubia, Palestine, Turkey, France and Spain ١٤٩٦ -١٤٩٩, (Pennsylvania :Hakluyt Society ,١٩٤٦), p. ١٢٣-١٢٤

المبحث الثالث : صورة النساء المسلمات في المصادر التاريخية اللاتينية :

شغلت المرأة المسلمة حيزًا في الحوليات التاريخية المعاصرة للحروب الصليبية، وذلك في سياق أحداث الحملات الصليبية، تمامًا مثل نظيرتها الصليبية. وتعددت الصور التي رسمتها لها تلك المصادر، والأدوار التي خلعتها عليها.

ففي مخيلة المؤرخ جيبرت النوجاني الذي لم يشهد حقيقةً الحملة الصليبية الأولى، فإن نساء المسلمين يرتدين ملابس باهضة الثمن منحها المسلمون لهن، ويتجولن في المعسكر وهن يحملن كنانة مليئة بالسهام(١).

ومن التصورات الأخرى للنساء المسلمات بالإضافة إلى تأثيراتهن العاطفية على رجالهن، دورهن كمشعوذات وسواحر، فقد نسبت الحوليات اللاتينية إلى النساء المسلمات امتلاكهن قوى خفية، ففي حولية المؤرخ Eracles يذكر أن الساحرات السراسنة " المسلمات" اخضعن أحد جنود الصليبيين بوضعه تحت تأثير السحر الشيطاني. كما ذكر المؤرخ الفرنسي ريمون دي آجيل Raymond de Aguilars أن الساحرات المسلمات استخدمن قواهن الشريرة لسيطرة على القدس(٢).ويتحدث عن إحدى المواقف الطريفة مع تلك السواحر " ولا يمكنني أن أمر بهذه الحادثة الطريفة التالية مرور الكرام، ، فعندما حاولت امرأتان وضع السحر على إحدى الصخور، انطلقت إحدى الأحجار من الآلة نفسها تزمجر في السماء ، لتقضي بعدها على حياة الساحرتين وايضًا على حياة ثلاث فتيات كن بالقرب منهما وهكذا دُمر السحر". (٣)

---

(١) Guibert of Nogent. Deeds of God , p.١٠٣.

(٢) ريمون دي جيل، تاريخ الفرنجة، ص ٢٩٤؛ Lambert.,Crusading, p.١٢٦,

(٣) ريمون دي جيل، المصدر السابق، ص ٢٩٤.

كما ذكر وليام الصوري واقعة واحدة، عن ساحرة مسلمة زعم أن صلاح الدين الأيوبي (٥٨٩ -٥٦٧ هـ / ١١٧٤–١١٩٣ م)استأجرها لتضع اللعنة على الجيش الصليبي، لكن الصليبيين قتلوها واحرقوا جثتها. ويعلق على هذه الحادثة بقوله : "على أن لا أغفل عن أخباركم بحادثة رهيبة نزلت برجالات الجيش هناك، على أنها تبدو كأسطورة تصديق أمثالها والاعتقاد بصحتها. عندما انطلق الجيش من منطقة نبع صفورية[١] ، وتجاوز الناصرة[٢]على مسافة ميلين منها، واجتاز سيرجنتيه[٣]الجيش امرأة مسلمة عجوزاُ ممتطية حماراً، واعتقد السيرجنتيه أنها عبدة آبقة، فألقوا القبض عليها، وتعرف عليها البعض منهم المساندون للجيش وكانوا من الناصرة، وقالوا إنها من الناصرة. سألوها عن وجهتها في هذه الساعة المتأخرة من الليل، ولم تتمكن من تقديم جواب واضح، هددوها، فاعترفت بأنها عبدة لأحد السوريين (العرب) من أهالي

---

(١) صفورية: صفورية: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، بلدة من نواحي الأردن، وهي من أعمال فلسطين قرب طبرية. انظر عنها: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/٤٧٨.

(٢) الناصرة: إحدى المدن الفلسطينية نسب إليها السيد المسيح عليه السلام الذي دعي بالناصري، وفيها ولدت فيها مريم العذرا ء، وهى مكان مقدس لدى ا النصارى. انظر عنها: سايولف. وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس ١١٠٢–١٠٠٣م، ترجمة، سعيد البشاوي، عمان، ط١، دار الشروق،(١٩٩٧م)، ص ٤٢؛ دانيال، وصف، ص ١٠٢ .

(٣) السرجنتيه جمع سيرجندي، وهو فارس خفيف يستخدم للهجوم ويعتبرهم سميل جنودًا وفرسانًا وعلى ذلك فالسيرجندي هو الذي يحمل أسلحة خفيفة. انظر: .سميل، ر.س. سميل. الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، بيروت، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (١٩٦٧ م) ، ص ٩٧ .

الناصرة. سألوها عن هدفها؟؟ فقالت أنا ذاهبة لصلاح الدين لتحصل منه على جائزة مقابل خدمة قدمتها له. وعندما سألوها عن نوع الخدمة التي قدمتها، اعترفت بعد عذاب شديد بأنها ساحرة وأنها نفثت سحرها على رجال الجيش الصليبي لمدة ثلاثة أيام متوالة حيث دارت حولهم مراراً وألقت سحرها عليهم باسم الشيطان، وأعلمتهم بانهم على طريق محفوف بالمخاطر، وأنهم سائرون نحو دمار أنفسهم، وأن قلة منهم هي التي ستنجو فقط (وقد حدث ذلك فعلاً). عندها قاموا بجمع كميات من الأشواك والحطب، وأوقدوا ناراً عظيمة وألقوها فيها، فقفزت منها مرتين أو ثلاث مرات، وكان قريباً منها واحد من السيرجنتيه وبيده بلطة هولندية (طبر)[١]، فضربها ضربة عظيمة شطر بها رأسها إلى شطرين، وعندها ألقيت في النار واحترقت. سمع صلاح الدين فيما بعد قصتها، فأسف أشد الأسف لفقدانها وقال: "لو بقيت حية لفديتها بكل شيء"[٢].

ويعترف أن معظم الجنود الصليبيين فروا خلال معركة حطين (٥٨٣ هـ /١١٨٧ م) بسبب هذا السحر على حد زعمه ولم يقتلوا. ولعله أراد أن يبرر هزيمة الصليبيين فنسبها إلى تأثير السحر مستخدمًا المرأة المسلمة كوسيلة لإيصال وجهة نظرة، ولكن في الحقيقة قصة أسطورية كما وصفها بنفسه، الهدف منها التقليل من الكفاءة العسكرية لصلاح الدين وجيشه، واسقاط فشل الصليبيين العسكري على السحر والشعوذة خاصة وأن الايمان بالخزعبلات كان منتشرا بين الصليبيين خلال العصور الوسطى.

---

(١) لبطة أو الطبر فأس يقطع به الخشب. انظر: أنيس، إبراهيم. المعجم الوسيط، بيروت ، ط٢، دار الأمواج، (١٤١٠هـ)، ص ٦٩.

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ٤ /٢٧٥ – ٢٧٣.

كما نستنتج من هذه الرواية التي نسجها خيال المؤرخ اللاتيني الصليبي أن الصليبيين كانوا يعتقدون بقدرة النساء المسلمات على عمل السحر الذي لا يمكن ايقافه أو مقاومته.

ومهما يكن من أمر، فقد اعتادت تلك الحوليات والمصادر اللاتينية على نسج روايات خيالية من رحم الروايات الواقعية لتقحم فيها المرأة المسلمة اقحامًا لتحقق أهدافًا معينة، ففي إحدى الصور المختلقة، تصف المصادر التاريخية اللاتينية المرأة المسلمة بأن لديها القدرة على التنبؤ بالمستقبل، وتعرف الكثير من الأسرار، ولديها دراسة عميقة لعلم التنجيم(١)، كما أنها امرأه مُلهمة ينزل عليها الالهام؛ لذلك فهي تجل الصليبيين أكثر من أجلالها قومها "المسلمون" كما هو الحال في رواية موقف أم كربوغا من حصار ابنها لأنطاكية (٤٩١هـ /١٠٩٨م). وهي رواية وردت في كتاب" أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس" للمؤلف المجهول، وهو معاصر للحملة الصليبية الأولى(٢)، كما ذكرتها مصادر لاتينية مختلفة لم تعاصر الحملة الأولى شملت، حيبرت النوجاني(٣)، وبطرس توديبود(٤). كما ووردت أيضًا في أنشودة أنطاكية الفرنسة

(١) علم التنجيم، هو علم التنبؤ الغيبي عن طريق مراقبة النجوم. انظر: أنيس، المعجم الوسيط، ص ٩٠٤-٩٠٥.

(٢) مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة، ص ١٣٥.

(٣) Guibert of Nogent. Deeds of God , p.٩٩-١٠٠.

(٤) توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص ٧١-٧٩.

"Chanson d'Antioche" (كتبت عام ٥٧٦ ه/ ١١٨٠م) ، التي زعمت أن اسم ام كربوغاCalabre كالابريا[١].

وهو كما يبدو اسمًا لاتينيًا، وليس اسمًا تركيًا ولا حتى اسلاميًا، مما يؤكد أنها شخصية مختلقة، فهي لا تحمل صفات المرأة المسلمة لا شكلًا ولا موضوعًا.

كما انفردت هذه الأنشودة أيضًا بذكر صفاتها الجسمانية، فوصفتها بأنها امرأة عجوز في السبعين من عمرها ، تعلوها التجاعيد، شعثاء الشعر والحاجبين، وقد ابيض شعرها بالكامل. بينما لم تعر بقية المصادر هذه المسألة أي اهتمام، لأن وظيفة أم كربوغا في الرواية كانت فقط ايصال رسالة الصليبيين[٢].

والملاحظ أن رواية أم كربوغا لم ترد عند فوشيه الشارتري في"تاريخ الحملة إلى القدس"، ولا ريموند دي جيل "تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس"، وهما معاصرين للحملة الصليبية الأولى، ولم ترد حتى عند المؤرخين المتأخرين كوليم الصوري، أو ديريك فيتاليس Orderic Vitalis .

وعدم ذكر فوشيه الشارتيري وريموند دي جيل لهذه الرواية، وهما من المؤرخين الصليبيين المعاصرين للحملة الصليبية الأولى يقوي فرضية أنها رواية مختلقة دونها راويها لتخدم غرضًا معينًا في نفسه.

---

(١) Edgington, Carol Sweetenham ,The Chanson D'Antioche: An Old-French Account of the First Crusade Translated by Susan, (Ashgate Publishing, Ltd., ٢٠١١,p.

(٢) Hodgson, OP. Cit, p.١٩٦.

وبحسب المصادر التي ذكرت الرواية، فإن كربوغا عندما كان يعد العدة لشن هجوم على الصليبيين في أنطاكية (٤٩١هـ /١٠٩٨م)، جاءت والدته من حلب[١] لتثنيه عن هذا الهجوم، لأنها كانت تعتقد أن إله الصليبيين سيتولى حمايتهم. ولكن على الرغم من تحذيرات والدته واصل استعداداته.

وقد خصص المؤرخ المجهول مؤلف كتاب " أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس" الكتاب التاسع المعنون بـ " حصار التركمان لأنطاكية" لهذه الرواية ، وذكر أن والدته كانت في حلب، وقد قدمت لرؤيته ، ولدى مقابلتها له اجهشت في البكاء لما تأكدت مما سمعته من عزم ابنها كربوغا على التوجه لحرب جيوش الفرنجة، وطلبت منه التراجع عن عزمه[٢] وبررت موقفها رغم ثقتها من شجاعة وكفاءة ابنها، ومن معه من الأمراء بأن " رب الفرنجة" يدافع عنهم ويحميهم ليلا ونهارا كما يحمي الراعي قطيعة، ولا يقبل أن تمسهم أية أمه بأدنى شر أو سوء، وأن ربهم سيؤذي كل من يتطلع إلى

(١) حلب: مدينة من مدن بلاد الشام تحوي سور محكم، وقلعة محكمة، وبها مدارس وجوامع، وعمائر حسنة وغيرها. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٢٤ – ٣٣٣؛ الظاهري؛ غرس الدين خليل بن شاهين. زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح: بولس راويس، القاهرة، ط٢، المطبعة الجهورية، (١٩٨٨م) ، ص٤٩. وهي اليوم إحدى مدن الجمهورية العربية السورية. انظر: مؤنس، حسين. أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، ط١، الزهراء للإعلام العربي، ط١،(١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص٤١٧.

(٢) مؤلف مجهول، أعمال الفرنجة، ص ١٣٥.

مقاومتهم مصداقًا لما جاء على لسان النبي داود عليه السلام[١]:" تشتت الشعوب الذين يسرون للقتال"[٢].كما قدم جيبرت النوجاني رواية مشابهة لهذه الرواية. [٣]

وما قام به هذان المؤرخان جيبرت النوجاني والمؤلف المجهول أنهما نسجا شخصيتان متناقضتان كلاهما مسلمتان. فمن جهة صوروا كربوغا كمقاتل مسلم يفتقر إلى الأخلاق، ومن جانب آخر تظهر والدته المسلمة امرأة حصيفة عاقلة تدافع عن قضية الصليبيين. ومما يثير الغرابة في رواية هذين المؤرخين أنهما وصفا امرأة مسلمة وصفًا ايجابيًا رغم تعصبهما. ففي حين كان ابنها كربوغا مستعدا لضرب الصليبيين الذين كانوا يحاصرون أنطاكية كانت والدته تناشده بالتخلي عن هذه المهمة.

وتشترك جميع روايات المصادر الصليبية في عناصر أساسية، حيث تذكر أنه بمجرد سماع أم كربوغا أن ولدها يحاصر أنطاكية اسرعت لزيارته من حلب، ورجته الا ينخرط في معركة مع النصارى، رغم ثقتها في بكفاءته الحربية، وعلى الرغم من أنها لم تكن نصرانية، وكانت ردة فعل كربوغا أن اتهامها بأنها إما مجنونة أو استحوذت عليها الشياطين ؛ لأن قواته تفوق قوات الصليبيين. فاستشهدت بالمقاطع التوراتية السابقة لتعزز موقفها، عندئذ سألها كربوغا من اخبرها عن النصارى وإلههم. فذكرت أنها علمت ذلك من خلال دراستها لعلم الفلك والتنجيم، وقيامها بحساباتها وملاحظتها الدقيقة التي من خلالها تنبأت بهزيمته ومقتله في هذه المعركة، ولكن

(١) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ١٣٥.

(٢) المزامير: ٦٧، ٣١.

(٣) Guibert of Nogent, Deeds of God , p.٩٩-١٠٠.

كربوغا رفض نصيحتها، فعادت إلى حلب، بعد أن حملت معها كل ما وقعت يديها عليه، وقام الصليبيون بنشر هذه الرواية في المعسكر الصليبي.

ومن المحتمل أن أم كربوغا قد حضرت فعلًا من حلب لزيارة ابنها، وعادت محملة ببعض الغنائم، مما أثار اشاعة بأنها كانت تعتقد بهزيمة ابنها، حتى وإن كان ذلك صحيحًا فمن غير المحتمل أن يكون الصليبيون قد اطلعوا على طبيعة المحادثة التي جرت بين الأم وابنها.

على أن المصادر العربية[1] التي تحدثت عن معركة أنطاكية لم تشر إلى أم كربوغا لا من قريب أو بعيد، ولم تلمح حتى تلميحًا إلى قدومها من حلب لزيارة ابنها، فكيف اكتشفت المصادر الصليبية أمر هذه الزيارة، والحوار الذي جرى بين كربوغا ووالدته، بينما المصادر العربية المعاصرة لحصار أنطاكية لم تطلع عليها.

ومهما يكن من أمر، فقد استغل المؤرخ المجهول المعاصر للحملة الصليبية الأولى اجتماع كربوغا بوالدته في انطاكية، واقحم هذه الرواية التي احتلت جزء كبيرًا من النص الذي تحدث فيه عن حصار أنطاكية فجعلها ناطق بلسان الصليبيين يشرح سبب نجاح الحملة الصليبية الأولى، ويبرر تفوق الصليبيين، ويوضح وجهة نظره في الحروب الصليبية.

---

(١) بن القلانسي، الذيل، ص ١٣٥ ؛ابن الأثير، الكامل، ٤١٨/٨؛ ابن العديم ،كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ). بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق، سهيل زكار، دمشق، د.م، (١٤٠٩هـ)، ١٣٧/٢-١٥٦.

وبغض النظر ما إذا كان مؤلف" أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس" رجلا عاديًا محدود التعليم أو رجل دين، فهو يعطينا دلالة على دور القصص في نشر رسالة الصليبيين، حتى وأن كانت في الأصل وسيلة المؤلف لتعبير عن رأيه(١) .

زد على ذلك إن دعوة رجال الدين إلى هذه الحروب الإلهية المقدسة، جعلتهم يستثمرون الرؤى والأحلام والنبوءات للترويج لها، فكانوا " يروون شتى الخرافات والسخافات عن الرؤى النبوية، وعن ظهور المسيح ومريم العذراء والرسل والقديسين، وعن العلامات السماوية، التي تنبئ بمعركة المسيحيين المقبلة ضد أتباع الإسلام"، فقد كانت هذه الرؤى والأحلام، تكثر في حالة الضيق أو الخطر أو اليأس الذي كان يتعرض له الصليبيون في حروبهم مع المسلمين، وكان لها صدى في تثبيت العزائم، وبث الروح الدينية، ومن ثم الاستماتة في القتال(٢).

ومن المؤكد أنها رواية خيالية تطورت من بعض الأدبيات السابقة عن أم تنصح ولدها بتجنب القتال، ولكن كون أم كربوغا امرأه مسلمة تدافع عن النصرانية، فهذا يعطي أهمية لطبيعة المحادثة(٣).

---

(١) Hodgson, The role of Kerbogha's Mother, p.١٩٢.

(٢) عبد الرحيم، رائد مصطفى.(٢٠١١). وسائل الدعاية الصليبية (صورة المسلمين في أدب الرحلات الأوروبية والروسية إلى الأماكن المقدسة في العصور الوسطى أنموذجًا)، مجلة جامعة الأزهر، غزة، سلسلة العلوم الإنسانية ، ١ (١٣)، ص١٦٨-١٧١.

(٣) Hodgson, The role of Kerbogha's Mother, p.١٩٨.

على كل حال، من الواضح أن هذه الرواية تهدف بالدرجة الأولى إلى الدعاية لبوهمند(٤٩١ ـ ٥٠٥هـ /١٠٩٨ـ ١١١١م) على وجه الخصوص قائد الصليبيين في حصار أنطاكية.

ومن المحتمل أنها قصة لفَّقها بوهمند وأتباعه لتحميس جيشه على القتال، خاصة وأنها وردت في كتاب" أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس" للمؤرخ المجهول الذي كان من جماعة الأمير بوهمند.

والحقيقة أن أم كربوغا في هذه الرواية توضح العديد من القيم المنسوبة إلى الأم الغربية في سياق المحادثة، ففي مجتمعات أوربا لوسطى، كانت الأمهات خاصة الامهات النبيلات، يلعبن دروًا رئيسًا في تعليم الدين لأبنائهن، وكانت الأم الصالحة تمثل التقوى والنزاهة والشخصية الأخلاقية. وكانت أم كربوغا في هذه الرواية مهتمة بحياة ابنها، ولكنها كانت تحذره بطريقة لا تجرح كبريائه، وكانت تحاول أن توجه دينيًا، وعلى الرغم من أنها وثنية بحسب الرواية الصليبية[١].

وقد وضع الباحث لويس بريهير Louis Brehier هذه الرواية ضمن قائمة من الروايات المشكوك في صحتها، ورجح أنها أضيفت فيما بعد إلى النص الأصلي[٢] .

وتقول هجسون Hodgson معلقة على موقف أم كربوغا: " على الرغم من أن النساء غالبًا يوصفن بتثبيطهن للرجال عن المشاركة في الحرب، إلا أنه لم يوجد عمل أدبي اظهر امرأة تركية " أي مسلمة" تثني ابنها عن القتال بدعوى تفوق النصارى". وتعتقد هجسون أن كاتبًا آخر هو المسؤول عن هذا التحريف في النص[٣].

---

(١) Hodgson, OP. Cit, p.١٩٨.

(٢) Ibid, p.١٧٣.

(٣) Hodgson, The role of Kerbogha's Mother, p. ١٩٦.

ووجهة نظر هجسون بلا شك وجهة نظر صحيحة لها شواهد عديدة في المصادر الإسلامية المعاصرة للحروب الصليبية، ومما يؤكد أنها رواية اسطورية مختلقة ؛ أنها تتعارض تمامًا مع واقع الخواتين خاصة والنساء المسلمات بصفة عامة خلال الحروب الصليبية ، وموقفهن من الصليبيين، إذ لم تكن المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنجي الصليبي قاصرة على الرجال فقط بل شاركتهم في تلك المقاومة المرأة التي تحملت معاناة الغزو، فقد تعرضت النساء للقتل والأسر بعد اجتياح الصليبيين للمدن الإسلامية.

وحتى نبرهن على أن موقف أم كربوغا حسب الرواية الصليبية يتعارض مع موقف النساء المسلمات من كافة الطبقات من الغزو الصليبي، سنسوق بعض الصور التي تثبيت أن أم كربوغا وغيرها من النساء المسلمات لا يمكن أن يقفن في صف الصليبيين.

وقد قدم لنا أسامه بن منقذ العديد من أمثلة البطولة الفردية لعدد من النساء المسلمات في ميادين القتال، منها: أن امرأة نابلسية تزوجت من أحد الصليبيين ثم قامت بقتله، وكانت تحرض ابنها على مقاومة الصليبيين، فكان ابنها يحتال على الحجاج الصليبيين "ويتعاون هو وأمه على قتلهم" . والمرأة ندى الشيزرية التي تمكنت من إدخال ثلاثة من الإفرنج أثناء قتال في المدينة إلى دارها "فأخذت ما كان معهم وما صلح لها من سلبهم وخرجت، دعت قومًا من جيرانها قتلوهم[١]".

أما خاتون السفرية زوجة ألب أرسلان (٤٥٥ هـ-٤٦٤هـ/ ١٠٧٢-١٠٦٣م)، فقد شاركت عسكريًا في معارك السلاجقة أثناء حكم زوجها، ولعل أبرزها مشاركتها

(١) ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص ٦٤.

إلى جانب ألب أرسلان في إخضاعه لمدينة حلب، وادخالها لسلطته وذلك عام ٤٦٢ هـ/ ١٠٦٩ م[١]، ثم كانت إلى جانبه عام ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠ م أثناء تفقده للثغور الشامية والجزرية، ولما تناهت إلى أسماعه أخبار الحشد البيزنطي الكبير عام ٤٦٣ هـ/ ١٠٦٧ بقيادة الإمبراطور رومانوس ديوجينسRomanus (٤٦٠ - ٤٦٣هـ/ ١٠٦٧م - ١٠٧١م) ثم تأكد من الخبر، راسل الإمبراطور لعقد هدنة لعدم استعداده للمعركة، فلما رفض الإمبراطور وأصبحت المعركة حتمية، قام بسحب جزء من قواته باتجاه عاصمته للقيام بالاستعداد الجدي لمحاربة البيزنطيين، وطلب من الخاتون السفرية، ووزيره نظام الملك الطوسي، وولي عهده ملكشاه بن ألب أرسلان[٢](٤٥٦ ـ ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢ – ١٠٩٢م) مرافقة تلك القوات ليشرفوا على تجميع القوات السلجوقية من جميع ولايات الدولة استعدادًا للمعركة التالية في حالة هزيمة السلطان أمام الإمبراطور، بل أنه كان موقنًا بصعوبة النصر وكان يريد أن يقوم بعمليات عسكرية ضد البيزنطيين لاعاقتها حتى تتمكن خاتون السفرية، وولي العهد والوزير

(١) ابن العديم، بغية الطلب، ص ٩٥.

(٢) ملكشاه :هو أبو الفتح ملكشاه ابن ألب ارسلا ن، ولد سنة ٤٤٧ هـ ١٠٥٥ /م وتملك بعد أبيه وكان ملكشاه يعرف بالسلطان العادل، وقد اهتم بأمور الدولة وعمارتها وعمل على تحصين مدنها كم ا انشأ الأربطة، وعمر طرق القوافل التجارية توفى سنة ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م . انظر: ابن الأثير، الكامل ،٨ /٤٠٣ ، ٣٩٤إ؛ الذهبي، سير، ١٩ /٥٥.

من تجميع القوات استعدادًا للمعركة الكبرى كما كان يخطط غير أنه نجح بهزيمة الإمبراطور وأسره في معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣ هـ/ [١]١٠٧١ .

ومن صور مقاومة وتضحية المرأة مشاركتها في تحرير الأسرى المسلمين، فقد ذكر ابن جبير أن بعض النساء المسلمات الثريات شاركن في تحرير الأسرى المغاربة الذين شاركوا في مقاومة الاحتلال الصليبي وتم أسرهم[٢].

كما شاركت النساء في عمليات تحرير المدن من ذلك ما يروى في حوادث سنة ٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥ م عندما توجه الظاهر بيبرس(٦٥٨ – ٦٧٦هـ/١٢٥٩ – ١٢٧٧م) لتحرير مدينة أرسوف[٣]من الاحتلال الصليبي، وخلال حصار الجيش الإسلامي للمدينة "كانت النساء الصالحات يسقين الماء في وسط القتال، ويعملن في جر المجانيق"[٤].

كما لعبت المرأة المسلمة دورًا هامًا في تحريض المسلمين على قتال الصليبيين ومقاومتهم؛ ففي عام(٦٠٨ هـ/ ١٢١٢م) خرج المؤرخ الفقيه سبط ابن الجوزي

---

(١) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوم بن قزاوغلي (ت ٦٥٤ هـ). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق، مسفر الغامدي، د.ط، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ،(د.ت)،ص ٢٨١.

(٢) بن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٣٨.

(٣) أرسوف: بالفتح ثم السكون وضع السين المهملة، مدينة على ساحل بحر الشام، بين قيسارية ويافا. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ١٥١. وهي اليوم في لبنان، ولا تزال تحمل اسم أرسوف. انظر: مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٤١٣

(٤) ابن كثير، البداية، ١٣/ ٣٩٦؛ المقريزي، أحمد بن علي(ت٨٤٥هـ). السلوك في معرفة الملوك، تحقيق، محمد بيضون، بيروت، ط١، دار الكتب العلمية، (١٤١٨هـ\١٩٩٧م)، ٢/ ٢١.

والكثيرون من أهل دمشق مع المعظم عيسى بن العادل سيف الدين الأيوبي(٦١٥ – ٦٢٤هـ/١٢١٨ – ١١٢٦م) لمواجهة استفزازات الداوية، حتى إن النساء قطعن شعورهن ليجدلنها حبالاً لخيول المجاهدين، فأخذها المعظم في جامع نابلس[١] وجعلها على وجهه وجعل يبكي، وكان يومًا عظيمًا، وقصت امرأة شعرها وأرسلته إلى العادل سيف الدين الأيوبي (٥٩٦ – ٦١٥هـ/١١٩٩ – ١٢١٨م)، وقالت: "اجعله قيدًا لفرسك في سبيل الله "[٢].

وصورت المصادر الصليبية النساء المسلمات في صورة العاشقات المتيمات بالفرسان الصليبيين الشجعان، وأنهن على استعداد لتضحية في سبيل الزواج من هؤلاء الفرسان. كما في الرواية الخيالية التي ذكرها المؤرخ الانجليزي أورديريك فيتاليس(توفي ٥٣٦هـ/١١٤٢م)، وهي قصة الأميرة المسلمة ماليز بنت دانشمند[٣]، التي وقعت في حب الأسير الصليبي بوهمند أمير أنطاكية، وكانت أميرة جميلة وحكيمة، ولها سلطة واسعة في منزل والدها، وفي النهاية قررت أن تحرر بوهمند واتباعه، بل إنها تأثرت بكلماتهم واعتنقت النصرانية، وجعلتهم يعدونها أن تتزوج بوهمند، لكن بعد اطلاق سراحه اشار إلى أنه زوج غير مناسب ؛ لأن لديه الكثير من الحروب ليخوضها، وسيغيب لمدة طويله، وعرض عليها أن تتزوج قريبه "روجر بن

---

(١) نابلس : تقع مدينة نابلس بين جبلي عيبال وجزريم. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٢٤٨. ولا تزال مدينة نابلس في وقتنا الحاضر تحمل نفس الاسم، وهي تابعة لفلسطين. مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٤١٥ – ٤١٦.

(٢) أبو شامة؛ شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، بيروت، ط٢، دار الجيل، (د. ت)، ص٦٩ – ٧٠.

(٣) لم أجد لها ترجمة، يبدو أنها شخصية خيالية من نسج خيال المؤرخ الإنجليزي.

الأمير ريتشارد[١] وقال: هو أصغر وأوسم مني، ولكنه يكافئني في النسب والثروة والقوة" فقبلت مليز بحكمة عرضه[٢].

والملاحظ أن أوردريك فيتاليس اعتمد على رواية تاريخية حقيقة، وهي وقوع بوهمند في أسر المسلمين[٣]، ولكنه ادخل فيها أحداث خيالية اقحم فيها شخصية نسائية مسلمة، يبدو أنها هي الأخرى خيالية، إذ لم نجد لها أثر في المصادر الإسلامية، بل إن الاسم الذي اختاره المؤرخ لهذه الشخصية "ماليز" يبدو أوربيًا وليس اسمًا عربيًا أو تركيًا.

يتضح مما سبق أن الرواية السابقة صورت المرأة المسلمة في صورة المرأة المتمردة على دينها وأهلها وعاداتها وتقاليدها، التي تنجرف وراء أهوائها ونزواتها ضاربة بعرض الحائط كل اعتبار. وهي بلا شك صورة مغايرة للواقع تمامًا، وتخالف ما سطره المؤرخون المسلمون من مواقف مشرفة للنساء المسلمات خلال الحروب الصليبية[٤].

على كل حال، فقد ظهرت هذه القصة فيما بعد بصورة أدبية في الشعر الفرنسي القديم. ويمكن العثور على النساء المسلمات في صور عدة في الأعمال الأدبية الغربية،

---

(١) لعله يقصد روجر الأنطاكي، ابن أخت تانكرد، أصبح أميرًا على أنطاكية بعد وفاة تانكرد سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢م، وقتل في معركة ساحة الدم سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م. انظر عنه: بن القلانسي، الذيل، ص٢٠٠، ٢٠١ ؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ١٨٨/١.

(٢) Ordericus Vitalis, M.F Guizot, The Ecclesiastical History of England and Normandy], Volume ٣, (H.G. Bohn, Harvard University, ١٨٥٤), p.٣٥٧.

(٣) انظر عن رواية اسر المسلمين لبوهمند فيما سبق مبحث: "الأسر ودوره في لفت الانتباه إلى النساء المسلمات" من هذا البحث

(٤) ذكرنا نماذج منها فيما مضى من البحث.

وخاصة الأغاني الفرنسية ورغم أن النصوص الأدبية هي أعمال خيالية وليست معنية دائما بشكل مباشر بالحملات الصليبية ذاتها، ولكنها غالبا ما تحوي عناصر تاريخية وتلقي ضوءًا على الرأي الشعبي تجاه تلك الفترة[١].

كما صورت المصادر التاريخية اللاتينية النساء المسلمات كبطلات رومانسيات يقدمن النصح والعون من أجل قضية الصليبيين، كالقصة التي أوردها المؤرخ أوديريك فيتاليس في تاريخه عن زوجات بلك بن بهرام الأرتقي(٤٩١ - ٥١٨هـ/ ١٠٩٧ - ١١٢٤م) الثلاث، والتي تتحدث في الأساس عن وقوع جوسلين[٢]، وبلدوين الثاني في أسر بلك الأرتقي، حيث ذكر أنه بعد أن تمكن الملك بلدوين الثاني من السيطرة على قلعة على الفرات تتواجد فيها زوجات بلك الثلاث وهن: فاطمة ابنة علي ملك ميدس Medes [٣]، وابنة رضوان بن تتش[٤]ملك حلب(٤٨٨ - ٥٠٧ هـ / ١٠٩٥

(١) كريستي، أدب الحروب الصليبية ، ص٨٣.

(٢) جوسلين Jocelin de coartenau : صاحب تل باشر، أحد النبلاء الفرنسيين، عينه بلدوين الأول Baldwin I مشرفاً على الجليل بعد موت تانكرد Tancred سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٢م، أسره المسلمون في معركة عند مدينة حران سنة ٤٩٨/١١٠٤م، انظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، ٤٧٤/١ – ٤٤٩؛ الجنزوري؛ علية عبد السميع، إمارة الرها الصليبية، د. ط،(١٩٨٦م) ، ص١٩٧.

(٣) لم أجد في المصادر الإسلامية ما يسمى بملك ميدس الذي ذكره المؤرخ أوديريك فيتاليس في رويته، ولكن بعد البحث اتضح أن ميدس اسم أسطورة اغريقية، وهو ملك كان له قدرة على تحويل أي شيء يلمسه إلى ذهب، مما يعني أن المؤرخ الانجليزي خلط بين الحقيقة والخيال والأسطورة لينتج نصًا تاريخيًا مختلقًا بغرض الوصول إلى هدف في نفس الكاتب. انظر: (Britannica Concise Encyclopedia: ٢٠١٢.)

(٤) هو الامير رضوان بن تتش بن الب ارسلان الملقب فخر الملوك ولد عام ٤٤٥هـ/١٠٥٣، ملك حلب بعده مقتل ابية تتش عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م. وصف بانه عبر محمود السيرة، =

- ١١١٣ م) ، والثالثة هي ابنة أمير قلعة جعبر[١] كتبت ابنة رضوان رسالة إلى زوجها بلك الذي كان آنذاك يحاصر جزيرة سردينيا مع مئة ألف من جنوده، وربطتها في عنق الحمام الزاجل، ثم طيرتها من فوق البرج، وكتبت له بالتفصيل ما حدث وكيف قُتل الحراس، وكيف تم الاستيلاء على القصر، وحالة التشتت والدمار التي تعيشها الأمة. وبمجرد أن بلغ بلك الخبر رفع الحصار عن سردينيا، وعاد مسرعًا، وجمع قوات من كل جانب وحاصرها خلال ثمانية أشهر[٢].

وارسل مرارًا سفراء إلى الملك بلدوين قائلًا: "يا ملك، لقد اقترفت نذرا سيئا سينقص حتما من شرفك في الجيل الحاضر والمستقبل، أنت تتعامل وتثير مشاعر الحنق بشدة لزوجات شريفات مما يحرجك بشكل لا يناسب أخلاق كبريائك الملكي و إيمانك المسيحي، زوجاتي لم يؤذينك ابدًا ولم يخططن أبدًا لذلك، فلِمَ تأخذهن رهائن و تبقيهن مثل الأسرى في القلعة!!"

ويتابع "ما الداعي لتكبيل الأميرات بالأغلال مثل المحتالين و الخونة؟! فعلك هو عار كبير على دولتك وسينقص من شرف دينك لسنوات قادمة. أنا التمس منك ألا

=

توفي عام ٥٠٧هـ/١١١٣م . انظر عنه: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨ /١١١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٥ /٢٠٥.

(١) لعله يقصد محمد بن محمد بن نشتكين المعروف بابن الداية، تولى قلعة جعبر سنة ٥٦٤/ ١٩٦٩م. انظر عنه : ابن الأثير، الكامل، ٩ /١٠٨. و قلعة جعبر هي قلعة على الفرات بين بالسن والرقة بالقرب من صفين كانت تعرف قديمًا باسم دوسر، وكان يملكها رجل يماني يقال له جعفر بن مالك. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢ /١٤٢.

(٢) Odericus Vitalis, The Ecclesiastical History of England, p.٣٩٩

يقسو قلبك وأن ترحم كبر سني و ضعف نسائي. أنا أتوسل اليك أن تطلق زوجاتي وسأتعهد ألا أبدأ هجومًا عليك أو على حلفائك أبدًا لعام كامل ليحصل حامل رسالتك جوسلين دي كورتناي (٥١٣ - ٥٢٦ هـ/ ١١١٩ - ١١٣١م) على الوقت الكافي لاحضار الغوث الذي تطلبه. واذا قبلت التماسي بإطلاق زوجاتي، فسأقوم طوعًا بسحب قواتي، وأعيد تنظيم إدارة شؤوني، بينما تسعد أنت بالسلام الذي وعدتك إياه من أجل الشرط المحدد. ويمكنكم الاستمتاع بحرية بالأسواق في قلعتي و يمكنكم أيضًا الاستفادة من الكنز الكبير الذي أملكه[١]".

بعد ذلك جمع بلدوين كل من في القلعة وشاورهم في عرض بلك الأرتقي، وطلب رأيهم، فأدلى كل بدلوه في تقديم المشورة، وبدا من الصعب الوصول إلى قرار ايجابي حول هذه الموضوع، عندئذ خاطبت الملكة فاطمة الاجتماع قائلًة : " لاحظت أنكم أيها الرجال الشجعان مترددون في الرد الذي يجب أن ترسلوه إلى سيدي(بلك)، وانا اتوسل إليكم أن تستمعوا إلى ما أريد أن أقوله: لا تستمعوا لوعود سيدي ؛ لأنها غير موثوقة" ثم تابعت قائلة: طالما إنكم تملكون هذه القلعة الحصينة، وتحتجزونني أنا ورفقائي، فإن بلك بلا شك سيكون خائفًا منكم، ولن يتجرأ على مهاجمة القلعة[٢].

وكما هي عادة المؤرخين الصليبيين يقحمون المرأة المسلمة في حادثة تاريخية حقيقية بعد إضافة بعض العناصر الخيالية، فالمؤرخ في الرواية السابقة استغل الرواية التاريخية التي ذكرت أن الأمير جوسلين دي كورتناي، صاحب الرها كان أسيرًا لدى بلك بن

---

(١) Odericus Vitalis, The Ecclesiastical History of England, p.٣٩٩.

(٢) Odericus Vitalis, OP. Cit , p.٣٩٩-٤٠٠.

بهرام الأرتقي، بقلعة خرتبرت فيما وراء نهر الفرات، فحاول الملك بلدوين الثاني فك أسر جوسلين، فوقع هو أيضًا في قبضة بلك سنة ٥١٧ه/ ١١٣٣م[١].

ونرى كيف تصور هذه الرواية المرأة مسلمة بصورة المرأة المؤثرة والمهذارة في نفس الوقت من خلال شخصية فاطمة زوجة بلك الأرتقي، وكذلك بصورة الخائنة لدينها وقومها، التي على استعداد لمد يد العون للصليبيين، وارشادهم إلى عورات المسلمين وهي صورة تناقض ما ذكره ابن منقذ عن المرأة التي قتلت زوجها وهو علي عبد ابن أبي الدرداء والذي كان من رجال خلف بن ملاعب[٢]أمير افامية[٣]، وذلك انتقاما منه بعد إن اعتاد القيام بعمليات السلب والنهب، والقرصنة ضد قوافل المسلمين، خاصة بعد أن ارتبط بالصليبيين في كفر طاب، وقد قدر لها المسلمون دورها وعملوا على إكرامها وتقديرها[٤].

وهناك أيضًا نضرة بنت يوزر ماط[٥]التي قامت بأسر ثلاثة من الصليبيين وجعلتهم في بيتها ثم دعت أهلها إليهم فقاتلوهم وتمكنوا من قتلهم. وتوضح تلك الروايات إن

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ٨/٦٨٨-٦٨٧؛ فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس ، ص٤٧٣ -٥٠٩ ؛ وليم الصروي، تاريخ الحروب الصليبية، ص٥٩١-٥٩٠ .

(٢) هو جناح الدولة صاحب حمص، كان والياً شجاعاً وهمة عالية، تصدى لمحاربة الصليبيين، إلا انه اغتيل في المسجد على . يد باطني، سنة ٤٩٦ هـ/ ١١٠٢ م، للمزيد عن ترجمته، انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ٥ \١٦٨-١٦٩.

(٣) أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص. انظر: الحموي، معجم البلدان، ١/٢٢٧.

(٤) ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص١٦٣.

(٥) لم أجد لها ترجمة.

الرجال لم يكونوا هم القوة الفاعلة فقط، بل إن المرأة المسلمة، شاركت ووقفت جنبًا إلى جنب بجوار الرجل المسلم، في معركة الجهاد ضد الصليبيين[١].

ولعل الصورة الواقعية الوحيدة التي نقلها المؤرخون الصليبيون، تلك لتي نقلها وليم الصوري عندما وصف المرأة المسلمة بالمرأة ذات الشخصية القوية التي تحرض ابنائها على القتال كأم الأراتقة (٤٩٥ -٨١٢هـ/١١٠١ -١٤٠٩م) التي نعتها بأنها "مسعرة حرب"؛ لأنها كانت تحض ابنائها على استعادة بيت المقدس، وذكر أنها كانت كثيرة التأنيب لهم حتى دفعهم كثرة تأنيبها إلى اعداد حملة لاستعادة القدس سنة ٥٤٧ه/ ١١٥٢م[٢].

ومن الواضح أن التصورات عن المرأة المسلمة التي رسمها المؤرخون الصليبيون انتقلت إلى أوربا بعد انقضاء الحروب الصليبية. وهذا ما تعكسه كتابات الرحالة الألماني فيلكس فابري Felix Fabri ، فقد سطر في رحلته عدة روايات عن نساء مسلمات لفتن انتباهه. والحقيقة أنه قدم صورتين مختلفتين ومربكتين عن النساء المسلمات. ففي الأولى أبدى اعجابه بحشمة النساء عندما ذكر أن النساء من السراسين كانوا يُصلّوا في أقسام منفصلة في كنائسهم (يقصد المساجد كما يفهم من السياق) وكانت النساء يظهرن مخفيات وجوههن دائما باحتشام." وفقا لطرائق النساء الشرقيات، اللاتي عندما يكن حاملات يرتدين ملابس طويلة عريضة مثل أثواب الكهنة"[٣].

من ناحية أخرى لام فابري فشل الصليبيين في السيطرة على القدس وبلاد الشام وطرد المسلمين منها إلى اغراء نساء السراسين (المسلمات) للرجال النصارى "

(١) ابن منقذ، كتاب الاعتبار، ص١٦٥-١٦٦.

(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ٣/ ٣٤٦.

(٣) فابري، رحلات فابري، ٢/٧١٧.

الصليبيين" وكانت النساء المسلمات هن سبب سوء حظ الصليبيين : " علاوة على ذلك اقترف أحد المسيحيين ذنبًا عظيمًا في كنيسة بيت لحم ؛ لذلك تبددت جميع الشجاعة والقدرة على المقاومة وانتزعت من المسيحيين، وصاروا أضعف من النساء.. ، فقد كان هناك مسيحي، أحب امرأة مسلمة، حبًا لم يكن نظيفا، وبإلحاح شديد طلبها لترضيه، لكنها قاومته باستمرار، وهربت منه، وفي أحد الأيام، عندما كان غاضبًا، قامت المرأة برغبة غير اعتيادية، فألقت بين أسنانه اسم المسيح، وطهارة الديانة المسيحية.. ومنذ ذلك الحين غدت تلك المرأة نوعًا من المتنبئات بين المسلمين، وبشرت بينهم أنه لم يعد هناك فضائل بين المسيحيين، وأنهم يمكنهم بلا خوف مقاتلتهم "[١].

وفي موضع آخر يصور النساء المسلمات بعديمات الحياء " وفي الحقيقة بدت النساء "من السراسين" المسلمات شهوانيات كثيرًا، لأنه عندما كان بعض الفرسان الشباب يمشون، وينظرون من حولهم وهم على سطح البيت رأوا ثلاثة نساء واقفات في بيت آخر، وقد عملن اشارات لهم للنزول اليهن. ولست أدري أفعلن ذلك عن شهوة أو -هو ما أعتقده - صدورًا عن نية تآمريه وشريرة ، وعلى كل حال كان الخطر هو نفسه، ذلك أن القانون هو: " إذا ما عثر على مسيحي يتسامر مع امرأة مسلمة(السراسنة) كان يعطى الخيار، إما أن يتخلى عن إيمانه أو مواجهة الموت، و وليس هناك خيار وسط بين هذين الخيارين "[٢].

---

(١) فابري، المصدر السابق، ٢ / ٧٢٦-٧١٧.

(٢) فابري، نفسه، ١/ ٣٧٥-٣٧٦.

وعلى ما يبدو أن فابري فليكس كانت متأثرًا في تصويره للمرأة المسلمة بالمؤرخين والكتاب الأوربيين خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين الذين اعتبروا النساء المسلمات مصدر غواية للرجال النصارى تعيسي الحظ، فقد كانت الحبكة الرئيسة لنصوص العصور الوسطى عن المرأة المسلمة أن امرأة نبيلة من الطبقة الأرستقراطية تقع في غرام فارس صليبي سجين لدى والدها أو زوجها، وتساعده في المعركة بين الصليبيين والمسلمين، وفي النهاية تعتنق هذه المرأة النصرانية، وتصبح جزءً من العالم الأوربي[١]. مثل قصة ماليز التي ذكرها المؤرخ[٢] .

ومن الواضح أن المؤرخين الصليبيين عملوا على نشر هذه الأسطورة خلال الحروب الصليبية من أجل اظهار استعلاء الصليبيين على المسلمين، والتأكيد على تفوق الثقافة الغربية على الثقافة الإسلامية.

يتضح مما سبق أن الجانب الأسطوري ونسج الروايات الخيالية غلب على تصوير المؤرخين الصليبيين للمرأة المسلمة في حين اتسم تصوير المؤرخين المسلمين للفرنجيات بالواقعية والموضوعية.

الخاتمة:

حاول البحث أن يظهر أثر الحروب الصليبية في تشكيل صورة المرأة المسلمة في أذهان الغربيين خلال العصور الوسطى متتبعًا الصور المتعددة التي رسمها مؤرخو الحروب الصليبية للمسلمات في رواياتهم التاريخية، فقد شغلت المرأة المسلمة حيزًا في

---

(١) Kahf, Western Representations, p. ٤-٥

(٢) Ordericus Vitalis, The Ecclesiastical History, p.٣٥٧، وانظر مناقشة الرواية فيما سبق من هذا البحث.

الحوليات والمؤلفات التاريخية اللاتينية المعاصرة للحروب الصليبية، وذلك في سياق أحداث الحملات الصليبية، تمامًا مثل نظيرتها الصليبية.

وركز البحث بشكل رئيس على العوامل التي أدت إلى ظهور التصورات الأوربية للمرأة المسلمة كالأسر والحجاب. وعلى التلميحات الأيدولوجية التي استخدمت لنقل صورة نمطية وأسطورية عن النساء المسلمات. و قد خرجت الدراسة بعدد من النتائج أبرزها:

رافق مصطلح " ساراسين " أو "ساراسينوس" (Sarakenoi) ذكر النساء الشرقيات والمسلمات بصفة خاصة في المصادر اللاتينية، فقد اعتاد المؤرخون والرحالة الغربيين في عصر الحروب الصليبية الاشارة إلى النساء المسلمات بهذا المسمى.

بعد تتبع مقدار ما كان يعرفه الغرب عن النساء المسلمات قبل الحروب الصليبية؛ لمعرفة مدى فضوله واطلاعه على كل ما يتعلق بالنساء المسلمات. اتضح أنه لم يكن هناك تعامل للأوربيين مع النساء المسلمات قبل الحروب الصليبية، وكان من الصعب أن تتبع هذه العلاقة؛ لأن المصادر اليونانية واللاتينية تكاد تخلو من أي أشاره لهذه المسألة، على الرغم من أن المسلمين أقاموا دولة في أوربا نفسها، وهي الدولة الاموية في الأندلس.

يمكن القول إن الغرب الأوربي لم يكن قبل الحروب الصليبية يعبأ كثيرا باستكشاف عالم النساء المسلمات؛ لأنه خلال تلك الفترة المبكرة من عمر الإسلام لم يكن هناك اهتمام في أوربا بالإسلام، وظهور الدين الإسلامي كعقيدة توحيدية جديدة لم يُلحظ إلا بصعوبة في أوروبا حسب وجهة نظر الكتاب الأوربيين المحدثين.

انخرطت النساء المسلمات في جوانب محتفلة من حياة الصليبيين، فقد وقعن أسيرات في أيدي الصليبيين، وعملن كخادمات وطباخات في منازلهم ، بينما استخدمت أخريات لإدارة طواحين الصليبيين بعد قيام المملكة الصليبية في بلاد الشام.

يعد الأسر أهم عامل جعل النساء المسلمات يدخلن في دائرة اهتمام الصليبيين، فقد وقعت أعداد كبيرة من النساء المسلمات أسيرات في أيديهم ، وسجلت المصادر العربية واللاتينية الكثير من الحالات التي تعرضت فيها النساء المسلمات للأسر.

استخدم الكتاب الأوربيون التلميحات الأيدولوجية لنقل صورة نمطية وأسطورية في الوقت ذاته عن النساء المسلمات، لذلك كانت صورة المرأة المسلمة في ثقافة الصليبيين صورة تخيلية بعيدة عن الواقع تمامًا.

كان للحجاب الإسلامي دور في لفت الانتباه إلى النساء المسلمات خلال عصر الحروب الصليبية ؛ إذ لم يكن منظرًا مألوفًا في الحياة اليومية للأوربيين في بلدانهم الأصلية، خاصًة وأن الإفرنجيات كما وصفهن المؤرخون المسلمون المعاصرين للحملات الصليبية كن على النقيض تمامًا، حيث اعتدن الخروج سافرات، والاختلاط بالرجال بدون حواجز.

شغلت المرأة المسلمة حيزًا في الروايات التاريخية اللاتينية المعاصرة للحروب الصليبية، وذلك في سياق أحداث الحملات الصليبية، تمامًا مثل نظيرتها الصليبية. وتعددت الصور التي رسمتها لها تلك المصادر، الأدوار التي خلعتها عليها.

يمكن أن نعد نمو فضول الغرب بالنساء المسلمات خلال العصور الوسطى جانب من جوانب الاستشراق المستتر.

من الملاحظ أن تلك الحوليات والمصادر اللاتينية اعتادت على نسج روايات خيالية من رحم الروايات الواقعية لتقحم فيها المرأة المسلمة اقحامًا لتحقق أهدافًا معينة. في الوقت الذي اتسم تصوير المؤرخين المسلمين للفرنجيات بالواقعية والموضوعية.

برهن البحث من خلال المصادر التاريخية الإسلامية أن موقف المرأة المسلمة كما تصوره الروايات التاريخية اللاتينية يتعارض مع موقف النساء المسلمات من كافة الطبقات من الغزو الصليبي، فقد أكدت المصادر الإسلامية إن الرجال لم يكونوا هم القوة الفاعلة فقط، بل إن المرأة المسلمة، شاركت ووقفت جنبًا إلى جنب بجوار الرجل المسلم، في معركة الجهاد ضد الصليبيين.

تتبع البحث أثر هذه النظرة على العصور الوسطى المتأخرة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين. والواقع أن كل النصوص التي ركزت على النساء المسلمات كانت تحمل اساسًا ايدلوجيًا للاحتفاظ بصورة غربية مركزية عن الشرق.

كان ينظر إلى المرأة المسلمة في بعض تلك المصادر كشخص مستبد ومتغطرس، مؤثرة ومهذارة في نفس الوقت، وهي شخصية مستهجنة عند المسلمين والنصارى على السواء.

كانت معظم تلك الروايات تصور المرأة المسلمة بصورة امرأة نبيلة من الطبقة الأرستقراطية تقع في غرام فارس صليبي سجين لدى والدها أو زوجها، وتساعده في المعركة بين الصليبيين والمسلمين، وفي النهاية تعتنق هذه المرأة النصرانية، وتصبح جزءً من العالم الأوربي.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية :

[١] الكتاب المقدس (أي العهد القديم والجديد) ،القاهرة، ط١ ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، (١٩٩٩م)،

[٢] المصادر العربية :

[٣] ابن الأثير الجزري، علي بن محمد (ت٦٣٠هـ).الكامل في التاريخ، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، بيروت، ط١ ، دار الكتاب العربي، (١٤١٧هـ) .

[٤] الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ) . تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، بيروت ،ط٣، مكتبة الحياة، (١٩٦١م) .

[٥] ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، بيروت، ط١ ، دار الكتب العلمية، (١٤١٣هـ)

[٦] ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني (ت ٦١٤هـ). رحلة ابن جبير المسماة: "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"، بيروت، د. ط، (١٩٦٤م) ، ص ٢٣٨.

[٧] ابن الخياط، محمد بن محمد بن علي بن يحيى التغلبي الدمشقي (ت٥١٧ هـ). ديوان ابن الخياط، تحقيق، خ . مردم بك، دمشق، (١٩٥٨م).

[٨] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ). تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الاعلام ، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري ، بيروت، ط ٤ ، دار الكتاب العربي ،(٤٩٩٧ م).

ـ . العبر في خبر من غبر، تحقيق، محمد السعيد، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٩٨٥م).

[٩] سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوم بن قزاوغلي . (ت ٦٥٤ هـ). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق، مسفر الغامدي، د.ط، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، (د.ت).

[١٠] ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق، محمد العيد الخطراوي ومحيى الدين مستو، بيروت ، ط١ ، دار ابن كثير، (١٤١٣هـ).

[١١] الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، بيروت، ط ، ١ دار الكتب العلمية، (١٤٢٢هـ).

[١٢] الظاهري ؛ غرس الدين خليل بن شاهين. زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح : بولس راويس، القاهرة، ط٢ ، المطبعة الجهورية، (١٩٨٨م).

[١٣] أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي. (١٩٤٧م). الذيل على الروضتين، ط٢ ، القاهرة.

[١٤] ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ). بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق، سهيل زكار، دمشق، د.م، (١٤٠٩هـ).

[١٥] ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت في القرن الثامن). كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، محمد إبراهيم الكناني وآخرون، بيروت ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي، (١٤٠٦هـ).

[١٦] العماد الأصفهاني، القاضي عماد الدين الكاتب.(ت٥٩٧ هـ) .خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، تحقيق ، شكري فيصل، (١٩٥٥م)

ـ. الفتح القسي في الفتح القدسي، بيروت، ط١ ، دار الكتب العلمية، (١٤٢٤م/٢٠٠٢م).

[١٧] ابن القلانسي ؛ أبو يعلي حمزة (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م). ذيل تاريخ دمشق، نشر وتحقيق، سهيل زكار ، دمشق، (١٤٠٣ هـ).

[١٨] القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، بيروت، ط١ ، دار الكتب العلمية، (١٤٠٧هـ).

[١٩] ابن القوطية، محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ). تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق، عبدالله أنيس الطباع، عني بمراجعة التحقيق عمر فاروق الطباع، بيروت، ط ،١ ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، (١٩٩٤م).

[٢٠] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي . (ت ٧٧٤هـ). البداية والنهاية، القاهرة، دار الفكر العربي، (١٩٣٣م).

[٢١] المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت٦٤٧هـ). المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، محمد سعيد العريان، القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، (١٩٦٣م).

[٢٢] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين .(ت ٣٤٦ ه). التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت، (١٩٦٥م).

ـ. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت، د. ط، المكتبة العصرية، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

[٢٣] المقريزي، أحمد بن علي(ت٨٤٥هـ). السلوك في معرفة الملوك، تحقيق، محمد بيضون، بيروت، ط١، دار الكتب العلمية، (١٤١٨هـ\١٩٩٧م).

[٢٤] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ). لسان العرب، الرياض، ط٣ مكتبة الرشد، (١٤١٤هـ\١٩٩٤).

[٢٥] ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي (ت٥٨٤هـ). كتاب الاعتبار، فيليب حتي، د. ف، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ، (١٩٣٠م).

[٢٦] النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق، حسين نصار وعبد العزيز الأهواني، (١٤٠٣هـ)

[٢٧] ابن هشام؛ عبد الملك المعافري (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م). السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى السقا وآخرون، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)

[٢٨] ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم . (١٣٧٧هـ). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، د.ط، القاهرة.

[٢٩] ياقوت، أبو عبدالله شهاب الدين ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ). معجم البلدان، تحقيق، فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية (د.ت).

المصادر المعربة:

[١] الأنطاكي، يحيى بن سعيد (٤٥٨ ه/ ١٠٦٧ م). تاريخ الأنطاكي "المعروف بصلة تاريخ أوتيخا"، تحقيق عمر عبدالسلام التدمري، جروس برس، طرابلس، (١٩٩٠م).

[٢] توديبود، بطرس. تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، نقله إلى الإنجليزية، جون هيوج هيل ولورتيال هيل، ترجمة، حسن محمد عطية ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د. ط، (١٩٩٩م)

[٣] جوانفيل. مذكرات جوانفيل، القديس لويس التاسع، حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة، حسين حبشي، ط١، القاهرة، (١٩٦٨م).

[٤] دانيال الراهب. رحلة دانيال المسماة وصف الأرض المقدسة في فلسطين ١١٠٦ -١١٠٧م، ترجمة، سعيد البيشاوي وداود أبو هدبة ، عمان ، ط١، دار الشروق، (٢٠٠٣م) .

[٥] الرهاوي، متى (ت ٥٣٩ ه/ ١١٤٤ م) . تاريخ متى الرهاوي، (الإفرنج (الصليبيون) –المسلمون - الأرمن) ، ترجمة وتعليق محمود الرويضي وعبدالرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، اربد، (٢٠٠٩م) .

[٦] ريموند دي آجيل. تاريخ الفرنجة الذين استولوا على القدس، ترجمة وتحقيق، سهيل زكار في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٦ ، د. ط، دمشق، دار الفكر، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

[٧] رولاند. نشيد رولاند، ترجمة وتحقيق، سهيل زكار، في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٩ ، د. ط، دمشق، دار الفكر، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

[٨] سايولف. وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس ١١٠٢ -١٠٠٣م، ترجمة، سعيد البشاوي، عمان، ط١، دار الشروق، (١٩٩٧م).

[٩] فليكس، فابري. جولات الراهب الدومنيكاني فابري فيلكس ورحلاته ١٤٨٠ - ١٤٨٣م، ترجمة وتحقيق، سهيل زكار، في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٤٢ ، د. ط، دمشق، دار الفكر، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

[١٠] فوشيه الشارتري. الاستيطان الصليبي في فلسطين "تاريخ الحملة إلى القدس" ١٠٩٥ -١١٢٧م، ترجمة وتحقيق، سهيل زكار، في الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج٦ ، د. ط، دمشق، دار الفكر، (١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م).

[١١] الفيتري، يعقوب الفيتري. تاريخ بيت المقدس، ترجمة، سعيد البيشاوي، عمان، ط ١، دار الشروق، (١٩٩٨م).

[١٢] القيصري، بركوبيوس. الحروب القوطية، ترجمة عفاف صبرة، القاهرة، (١٩٨٧م).

[١٣] مؤرخ مجهول. أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة، حسن حبشي، د. ط، بيروت، دار الفكر العربي، (د. ت) .

[١٤] وليم الصوري. الحروب الصليبية، ترجمة، حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩١م).

[١٥] المراجع العربية والمعربة:

[١٦] أنيس، إبراهيم. المعجم الوسيط، بيروت ، ط٢، دار الأمواج، (١٤١٠هـ).

[١٧] بالار، ميشيل. الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ترجمة، بشير السباعي، القاهرة، ط١، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، (٢٠٠٣م).

[١٨] براور، يوشع. عالم الصليبيين، ترجمة: محمد خليفة وآخرون، ط١، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (١٩٩٩ م).

[١٩] بيرنا، حسن. تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة، محمد نور الدين عبد المنعم والسباعي محمد السباعي، مراجعة يحيى الخشاب، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت).

[٢٠] الجنزوري، علية عبد السميع. إمارة الرها الصليبية، د. ط، (١٩٨٦م).

[٢١] جورافسكي، أليسكي. الإسلام والمسيحية، ترجمة، خلف محمد الجواد، الكويت، سلسة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (١٩٩٦م).

[٢٢] رستم، أسد. الروم في سياستهم وحضارتهم، ودينهم ، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، بيروت ، ط١، دار المكشوف ،١٩٥٥م.

[٢٣] زقزوق، محمود حمدي. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة، دار المعارف، (١٩٩٧م).

[٢٤] سعيد، إدوارد. (٢٠٠٥م). الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، ط٧، مؤسسة الأبحاث العربية.

[٢٥] سميل، ر.س. سميل. الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، بيروت، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (١٩٦٧ م).

[٢٦] شاخت، جوزيف، و بوزورث، كليفورد . تراث الإسلام، ترجمة، محمد رهير السمهوري وآخرون، الكويت، عالم المعرفة، سلسة يصدرها المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب ، (١٩٧٨ م).

[٢٧] شقير، نعوم ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، دار الجميل، بيروت، (١٩١٦م).

[٢٨] شهيد، عرفان. روما والعرب، ترجمة، قاسم محمد سويدان، ط١، دمشق ، دار كيوان، ٢٠٠٨م .

[٢٩] عباس، إحسان. العرب في صقلية: دراسة في الأدب والتاريخ ، القاهرة دار المعارف المصرية، (د.ت).

[٣٠] عمران، محمود. بحوث في العلاقات بين الشرق والغرب، دون مكان دار نشر، الإسكندرية، (٢٠٠٨ م).

[٣١] عمارة، محمد. قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية ، القاهرة، ط١، دار الشروق، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)

[٣٢] كريستي، نيل .(٢٠٠٣).أدب الحروب الصليبية من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر في موسوعة النساء والثقافات الإسلامية، تحرير سعاد جوزيف وآخرون، الإشراف على الترجمة هالة كمال بالتعاون مع مؤسسة المرأة والذاكرة بالقاهرة، د.ط ، لندن، دار بريل.

[٣٣] لسترنج، كي. فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة، محمود عمايري، عمان، ط١، جمعية المطابع التعاونية،)١٩٧٠م)
ـ. بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة، بشير فرنيس وكوركس عواد، بيروت، ط٢، مؤسسة الرسالة ،(١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

[٣٤] منصور، طارق و البشير، هاني. مدخل إلى أوربا العصور الوسطى، بيروت، ط١، مكتبة الرشد، (١٤٢٨ه).

[٣٥] مؤنس، حسين. أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، ط١، الزهراء للإعلام العربي، ط١ ،(١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

[٣٦] النصرات، محمد. مملكة الأنباط، التاريخ السياسي/ الأنباط، ط ١، البتراء، بيت الأنباط للنشر، (٢٠٠٧ م).

[٣٧] يحيى، لطفي عبد الوهاب. دراسات في العصر الهلنستي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (١٩٨٨م).

[٣٨] الدوريات:

[٣٩] الكِك، فكتور. العلاقات الثقافية بين المسلمين والفرنْج في العصور الوسطى، مجلة التفاهم، مجلة فصلية فكرية اسلامية، (٤٢)، (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م).

[٤٠] الجميلي، رشيد، كربوقا صاحب الموصل والصليبيون، مجلة "التاريخية"، سنة ١٩٧٢، العدد ٢.

[٤١] حماد، منى(د.ت). الأسرى المسلمون و الصليبيون و طرق معاملتهم بين الإطار القانوني و الواقع التاريخي ١١٩١ ـ ١٠٩٧ م/ ٥٨٦ ـ

٤٩٠هـ ، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، ٥٣ -٧٢ .

[٤٢] الدماغ، عبد الله.(٢٠١٥). صورة الشرق الإسلامي في الخطاب الغربي ، مجلة دِلْتَا نُون، سوريا (٤) ،الخميس ٠٢ / تموز / يوليو.

[٤٣] الطحاوي، حاتم. (١٤٢٩ه/٢٠٠٨م). المسلمون في الأدب الأوروبي الوسيط، ملحمة الفارس رولان نموذجاً، جريدة الحياة، العدد (١٦٤٠٢).

[٤٤] عبد الرحيم، رائد مصطفى.(٢٠١١). وسائل الدعاية الصليبية (صورة المسلمين في أدب الرحلات الأوروبية والروسية إلى الأماكن المقدسة في العصور الوسطى أنموذجًا)، مجلة جامعة الأزهر، غزة، سلسلة العلوم الإنسانية ، ١ (١٣) ، ٢٣٤ - ١٦١.

[٤٥] النصرات، محمد، السراسنة (Saracens) وعلاقتهم بالامبراطوريتين الرومانية والبيزنطية (القرنين الثالث والرابع الميلاديين)، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجّلد ٣٨ ، العدد٢، ٢٠١١ م، ٦٣٠ــ٦٤٨.

المصادر اللاتينية واليونانية والسريانية:

[١] Albert of Aachen, **Historia Ierosolimitana**, History of the Journey to Jerusalem. Edited by Susan B. Edgington. A Clarendon Press Publication.

[٢] Ammianus Marcellinus, **Res Gestae**, ٣rd, ٣ Vols, J.C. Rolfe, (Ed), ١٩٣٥, ١٩٣٩), Cambridge, Harvard University Press, ١٩٥٦.

[٣] Arnold von Harlf, **The Pilgrimage of Arnold Von Harff: Knight, from Cologne, Through Italy, Syra, Egypt, Arabia, Ethiopia, Nubia, Palestine, Turkey, France and Spain ١٤٩٦ -١٤٩٩**, (Pennsylvania: Hakluyt Society,١٩٤٦) .

[٤] Bar-Daisan, **The Book of the Laws of Countries**, dialogue on fate, Drijvers Editor, Van Corcum, (Assen, ١٩٦٥).

[٥] Eusebius, **The History of the Church**, Penguin Classics, translated by G.A Williamson,(England, ١٩٨٩).

[٦] Guibert of Nogent. **The Deeds of God through the Franks** . Translated and edited by Robert Levine. Rochester: (Boydell,١٩٩٧).

[٧] Meshullam, Menahem of Voltera Ben R. Menahem , **Itinerary of Rabbi, ١٤١٨ A**. D, ed. N.E. Edler (London, ١٩٨٧), pp. ١٥٦ – ٢٠٨..

[٨] **Martin Jacobs**, Reorienting the East: Jewish Travelers to the Medieval Muslim World (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, ٢٠١٤).

[٩] Ordericus Vitalis, M.F Guizot, **The Ecclesiastical History of England and Normandy**, Volume ٣, (H.G. Bohn, Harvard University, ١٨٥٤).

[١٠] Patricia Demers, **An Apology or Answer in Defence of The Church Of England**: Lady Anne Bacon's Translation of Bishop John Jewel's 'Apologia Ecclesiae Anglicanae (MHRA, ٢٠١٦).

[١١] Petachia of Retisbon, **The Itinerary of Rabbi Petachia,** ١١٧٤ – ١١٨٧, A.D., J. T, ed Adler, N,(London, ١٩٣٠), PP. ٦١ – ٩٠.

[١٢] Ptolemy, **Geography**,. C,H .F Nobbe (Ed),(Leipzig,١٩٣٢).

[١٣] Simon Fitzsimons, "**Itinerary of Father Simon Fitzsimons (١٣٢٢-٢٣)**" in ed. and trans. Eugene Hoade, Western Pilgrims (١٣٢٢-٩٢), Jerusalem.

[١٤] Socrates, **The History of the Church**, trans. By, A. C. Zenos, (London, Samuel Bagster and Sons, ١٩٨٠).

[١٥] Sozomen, **The History of the Church**, trans. By, C.D. Hartranft , In A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church, Second Series, P. Schaff and H. Wace, (Eds), Vol. II(١٨٩٠), Reprinted in Grand Rapids, ML, W.M.(Eerdmans, ١٩٧٩).

[١٦] **The Chanson D'Antioche**: An Old-French Account of the First Crusade Translated by Susan Edgington, Carol Sweetenham, (Ashgate Publishing, Ltd., ٢٠١١).

[١٧] Theophanes, **Chronographia**, trans. By, Cyril Mango and Roger Scott, Clarendon Press, Oxford, (١٩٩٧).

[١٨] **The Speech of Urban** :The Version of Baldric of Dol,in:Pctcrs.

[١٩] Vopiscus, Historia Augusta, (Loeb Classical Library, ١٩٣٢).

المراجع والدوريات الأجنبية:

[١] Billie Melman, **Women's Orients** (London: Macmillan, ١٩٩٢).

[٢] Billings Malcolm, **The Crusades**,(New York: ١٩٨٧).

[٣] Britannica Concise Encyclopedia, ٢٧ April, ٢٠١٢.

[٤] C. Meredith Jones, "**The Conventional Saracens of The Songs of Geste,**" Speculum ١٧ (١٩٢٤).

[٥] Elliot Tokson, **The Popular Image of the Black Man in English Drama**, ١٥٥٠-١٦٨٨ (Boston, MA: G. K. Hall, ١٩٨٢).

[٦] Faegheh Shirazi, **Muslim Women in War and Crisis: Representation and Reality** (Austin, TX: University of Texas Press, ٢٠١٢).

[٧] Idem. Jacob M. Rambin, "**Crusaders Under Siege**", CLA Journal ١ (٢٠١٣): ٨١-١٢٧.

[٨] Jacob M. Rambin, "**Crusaders Under Siege**", CLA Journal ١ (٢٠١٣): ٨١-١٢٧.

[٩] Jan Retsö, **The Arabs in Antiquity: Their History from the Assyrians to the Umayyads** (London, Routledge, ٢٠٠٣).

[١٠] John Esposito, Islam: **The Straight Path**, ٣rd edition (Oxford: Oxford University Press, ٢٠٠٥).

[١١] John Victor Tolan, **Saracens: Islam in the Medieval European Imagination** (New York: Columbia University Press, ٢٠٠٢).

[١٢] Jonathan Lyons, **Islam Through Western Eyes: From the Crusades to the War on Terrorism** (New York: Columbia University Press, ٢٠١٤).

[١٣] Laura A. Brady. (١٩٩٢). "**Essential and Despised: Images of Women in the First and Second Crusades**, ١٠٩٥-١١٤٨", MA Thesis, University of Windsor.

[١٤] Majid Khadduri , **War and Peace in Islam**, (Baltimore: ١٩٥٥).

[١٥] Maxime Rodinson and Roger Veinus, **Europe and the Mystique of Islam** (London: I.B. Tauris, ٢٠٠٢).

[١٦] Mohja Kahf, **Western Representations of the Muslim Women from Termagant to Odalisque** (Austin, TX: University of Texas Press, ٢٠١٠).

[١٧] Natasha Hodgson, "**The role of Kerbogha's Mother in Gesta Francorum and Selected Chronicals of the First crusade**", in Gendering the Crusades, ed. Susan B. Edgington and Sarah Lambert (New York: Columbia University Press, ٢٠٠٢)

–Women, Crusading and the Holy Land in Historical Narrative (Rochester, NY: Boydell Press, ٢٠٠٧).

[١٨] Norman Daniel, **The Arabs and Mediaeval Europe** (London: Longman, ١٩٧٥).

[١٩] Patricia Demers, **An Apology or Answer in Defence of The Church Of England**: Lady Anne Bacon's Translation of Bishop John Jewel's 'Apologia Ecclesiae Anglicanae (MHRA, ٢٠١٦).

[٢٠] Philip Mayerson, **The Use of the Term Phylarchus in the Roman -Byzantine East**,(Zeitschrift fur Papyrologie und Epigraphik, ٨٨,١٩٩١).

[٢١] Sarah Lambert, "**Crusading or Spinning", in Gendering the Crusades**, ed. Susan B. Edgington and Sarah Lambert (New York: Columbia University Press, ٢٠٠٢).

[٢٢] Shahîd, Irfan, **Byzantium and the Arabs in the Sixth Century**, Washington , ٢٠٠٩. Vol ٢ .

[٢٣] Yvonne Friedman, **Captivity and Ransom: The Experience of Women** in Gendering the Crusades, ed. Susan B. Edgington and Sarah Lambert (New York: Columbia University Press, ٢٠٠٢**).**

The Effect of the Crusades on the Emergence of the Western Representation and Perception of Muslim Women in Medieval Times.

Dr. Haila Abdurrahman Al-sahli

Associated Professor

University of Princess Nora, Faculty of Arts

Saudi Arabia\ History department

Abstract:

This paper is an attempt to analyse the effect of the Crusades on the emergence of the western perception of Muslim women in medieval times as depicted in European historical resources.

My paper consists of three parts. In the first part, 'The image of Muslim women before the Crusades in the western world', I am going to examine how much the Franks knew about Muslim women before the Crusades. The second part deals with 'The image of Muslim women in Latin historical sources' in which I will discuss the portrayal of Muslim women in western sources, and the representations that appear in the Crusaders texts. The last part is entitled "Features in the development of European's curiosity in Muslim women" In this part I will pay tentative attention to the factors that lead to Europeans' curiosity about Muslim woman in terms of how it works and what mechanisms it employs to deal with East-West relationships.

Keywords: Islam Representation, Middle East / Eastern Mediterranean Islam, women, Crusades, historical sources, medieval